دراسات في التاريخ والآثار

(٤)

مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين
في العراق

دراسات في التاريخ والآثار

(٤)

مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين
في العراق

دراســات في التاريخ والآثار

مجلة فصلية تصدرها جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق

المراسلات : جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق

العراق ــ بغداد . ص .ب (٢٧٠٨٩) شارع ١٤ رمضان

ترسل البحوث بإسم مدير التحــرير

ص . ب : (٢٧٠٨٩) بغداد ــ شارع ١٤ رمضان

مجلة دراسات في التاريخ والاثار ــ جمعية المؤرخين والاثاريين ت : (٥٣٨١٣٠٤)

الاشتراكات السنوية في مجلة دراسات في التاريخ والاثار

الاشــتراك السنوي

الجامعات والمؤسسات في العراق (٢٠) دينارا سنويا

اعضاء الجمعية (٥) دنانير سنويا

الافراد عموما (١٠) دنانير سنويا

تدفع الاشتراكات مقدما وكالاتي :

أ ــ صكوك لامر الجمعية

ب ــ نقدا لامر الجمعية

كلمة العـــدد

يسر جمعية المؤرخين الاثاريين في العراق اصدار العدد الرابع من مجلـة الجمعية ويحفل بعدد من البحوث التي تتناول مختلف مراحل تاريخنا العربي ، منذ العصور القديمة وحتى التاريخ الحديث .. اننا في الوقت الذي نصدر هذا العدد ، نامل من الاخوة المؤرخين والاثاريين اغناء المجلة ببحوثهم ودراساتهم مـن اجل ان يساهموا في الدعوة المخلصة لاعادة كتابة تاريخ الامـة العربيـة المجيدة ، واستجابة لدعوة السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله في هذا الشان ، وان وطننا عظيما شهد ولادة واحتضان اعرق حضارة عرفتهـــا البشرية فيه ابناء مخلصين من المؤرخين والاثارين اقدر من غيرهم على فهـــم واستيعاب وكتابة هذا التاريخ بذات القيم والمبادىء التي بنى عليهـا وبهـا ، ونرجو ان نكون قد وفقنا في اخراج هذا العدد ليحتل مكانه في المكتبة العربية.

والله من وراء القصد

هيئة التحرير

صناعة السلاح : جذورها الاولى في العصور الحجرية

د. فاضل عبد الواحد علي
كلية الاداب / جامعة بغـداد

١ ـ المدخـل :

السلاح في معناه البسيط هو اية اداة او وسيلة يستخدمها الانسان لاحداث فعل مؤثر في شيء اخر من اجل درء الخطر عن النفس . ولذلك فان فكرة السلاح مرتبطة اساسا بصنع الاداة . اما من بدأ الانسان بصنع ادواته فهذه مسألة يصـعب تحديدها لامر بسيط وهو اننا كلما توغلنـا في الماضي السـحيق كلما اصبح من الصعب حتى على المختصين احيانا التمييز بين شضية حجرية من صنع الطبيعة وبين اخرى من الجائز ان يكون لانسان العصر الحجري القديم فعل في تشذيبها . وعلى اية حال فليس هناك من شـك في ان انسـان العصر الحجري القديم الادني (Lower Palaeolithic) كان يلتقط قطع الحجارة الطبيعية ويستخدمها في اعماله اليوميـة قبل ان يقـوم هو بادخـال تحسينات عليها من حيث الشكل او الحجم . وجدير بالملاحظة ان بعض القبائل المختلفة في انحاء من العالم مازالت تستخـدم حتى يومنا هـذا قطع الحجارة الحادة وانياب سمك القرش والمحـار كادوات لانجاز شؤونهم اليومية . وبالمثل فما زالت بعض القبائل الاصلية في استراليا تقطـع اغصـان وجذوع الاشجار بقطع من الحجر مدببة الراس تلتقط عن الارض مباشرة . ان هذا القول ينطبق ايضـا على تلك المخلوقات الفردية المعـروفة بالمصطلـح اوسترالا بثيكوس (Australopithecus) في جنوب افريقيا الذين كانـوا يستخدمون ادواة من صنع الطبيعة . فهذه المخلوقات استطاعت ان تعيش

بعيدا عن الغابات في الاراضي المكشوفة الجافة وانها استخدمت عظام الحيوانات الطويلة والحصى بمثابة اسلحة للدفاع . ولكن لم يعثر على اية اداة حجرية مشظاة عمدا او قطعة عظم مشذبة مع بقايا هذه المخلوقات .

من الجائز ان نفترض ان الانسان في العصور الحجرية الاولى كان يستخدم اي شيء تناله يده بمثابة سلاح في سبيل دزء الاخطار التي يتعرض اليهـا وخاصة من الحيوانات المفترسة . وهذا الشيء يمكن ان يكون ، كما قلنا ، غصن شجرةاو حجرة او عظم حيـوان . ولكن الانسان يحتاج في الوقت نفسه الـى غذاء ، فبرزت الحاجة الى الصيد بشكل جماعات . والراجح ان الانسـان استعمل مثل هذه الادوات ، او مثل الاسلحة ، في مطاردة ومحاصرة قطعان الحيوانات التي كان يعتمد عليها في غذائه وانه نجح اول الامر في صيد صغـار تلك الحيوانات او حتى اوسطها حجما . وعلى اية حال فان المشكلة التـي كانت تبرز بعد كل عملية صيد هي ازالة الجلد او فرو الحيـوان . غير أن هذه المشكلة سرعان ما تغلب عليها الانسان بسهولة باستعمال قطع الحجـارة ذات الحافات الحادة . ولكن عندما لا تتوفر قطعة حجرية حادة من صنع الطبيعة فالحل ان يكسر الانسان حجرة للحصول على حافة حادة . وعنـدما ابتدات صناعات الادوات الحجرية توضحت الجـوانب العديدة لاستعمال الشظايا . فقد استعملت ، على سبيل المثـال ، لتحوير العصى الى رمح حاد النهاية ليكون سلاحا فعالا في صيد الحيـوانات كبيرة الحجم وكذلك لفصل اللحم عن العظم ولتكسير العظام ايضا من اجل استخراج النخاع . وفي حين كانت الشظايا تستعمل لسلخ الحيـوانات وتقطيع لحومها كانت الادوات اللبية(Core - tools) تستعمل لغرض عزق جذور النباتات التي تشـكل جانبا مهما من غذاء الانسان في العصرين الحجري القديم والوسيط .

٢ ـ المواد التي استخدمها انسان العصور الحجرية في صناعة ادواته واسلحته :

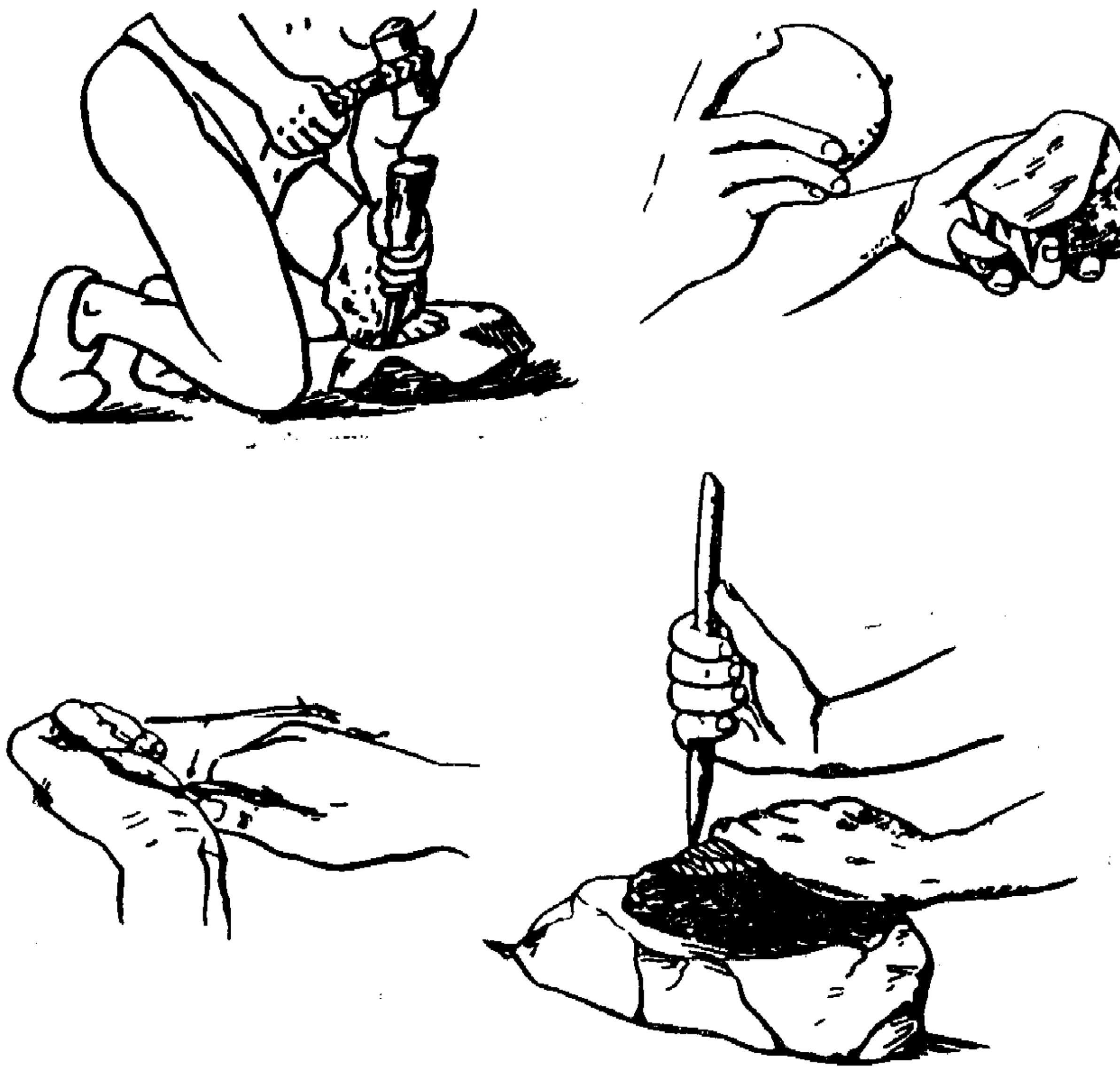
أ ـ الحجارة : سرعان ما تعلم الانسان ان بعض الانواع من الحجارة هي احسن من الاخرى لتشظيتها الى ادوات مفيدة مثل حجر الصوان والاوبسيدين فعلى الرغم من صلابتها الشديدة يمكن تشظيتها الى ادوات ذات حافات حادة جدا . وكان حجر الصوان من اكثر انواع الاحجار استعمالا في عصور ما قبل التاريخ ، فهو يوجد عادة اما على شكل طبقات لا يزيد سمكها على بضعـة انجات او على شكل كتل متبعثرة . وفي العصور الحجرية القديمة والوسيطة كان الانسان يحصل على الصوان بصورة رئيسية من ضفاف وقيعان الانهـار

او سواحل البحر . وقد تعلم الانسان في العصر الحجري الحديث كيف يتشيع الانواع الجيدة من الصوان . فحفر من اجل ذلك خنادق يصل عمقها احيانا الى اربعين مترا للوصول الى احسن طبقات الصوان . وقد استعمل انسان العصر الحجري الحديث في عملية الحفر هذه معاول مصنوعة من قرون الايائل ومجارف من عظام الثيران . وفي مناطق محددة استعمل الانسان القديم الاوبسيدين وهو حجر زجاجي بركاني لامع وقد اعتبر افضل من الصوان لصناعة الشظايا والاسلحة . ويوجد الاوبسيدين في المكسيك وكينيا وفي جزر بحر ايجه وتركيا وعند بحيرة وان في ارمينيه .

وهناك عدة طرق لتشظية الحجارة كانت معروفة خلال العصر الحجري. وتتلخص الطريقة البدائية والاعتبارية للتشظية بان تمسك الكتلة التي يراد تشظيتها باحدى اليدين ثم تضرب عدة مرات في مناطق معينة بقطعة من الحصى ذات حجم مناسب . ان كل ضربة توجه بميل نحو الاسفل بالقرب من الحافة تؤدي الى انسلاخ الشظايا من الوجه الاسفل للحجارة الذي يكون مقابلا لراحة واصابع اليد . اما في حالة صناعة الادوات اللبية مثل الفاس اليدوي والتي تحتاج الى التشذيب بصورة متساوية على كلا الجانبين ، فان الحجارة تدار من وقت لاخر اثناء عملية التشظية (او التقشير) . ان هذه الطريقة في صنع الفؤوس والشظايا تعرف بطريقة الضربة المباشرة
(Direct Percussioin)

اما في صناعة النصال (blader) ، على سبيل المثال ، فتستعمل طريقة الضربة غير المباشرة (Indirect Percussion) . وملخصها استعمال ازميل من الخشب او العظم بين المطرقة الحجرية وقطعة الحجر التي يراد تشظيتها ، ان تخفيف شدة الضربة بسبب استعمال الازميل سيؤدي الى انسلاخ شظايا اكثر دقة مما لو ضربت قطعة الحجر بالمطرقة مباشرة . وهناك بعض القبائل في المكسيك وقبائل الهنود الحمر في شمال امريكا تصنع النصال الطويلة باستعمال طريقة اخرى يمكن ان تسمى بطريقة « الضغط الدافع » (Impulive Prenure) وملخص هذه الطريقة الاخيرة ان توضع قطعة الحجر على الارض فيمسك بها الرجل بين قدميه اما واقفا او جالسا حسب رغبته، ثم يأخذ قضيبا خشبيا ينتهي في اعلاه بعارضة يستند اليها صدره وينتهي في اسفله بنبلة من القرن او الخشب الصلب . وعندئذ يضغط الرجل على العارضة بصدره الى امام فيؤدي ثقل الجسم الى انسلاخ شظية من قطعة الحجر في كل مرة . وتذكر رواية لشاهد عيان من القرن السابع عشر الميلادي

انه كان بمقدور رجل مكسيكي كان يستعمل طريقة « الضغط الدافع » هــذه ان يعمل اكثر من مئة نصــل سكين من حجر الاوبسيديان في الساعة الواحدة .



طريقــة تشظية الحجــــارة

١ ــ التشظية بالضربة المباشرة — **٢ ــ بالضربة غير المباشرة**

٣ و ٤ ــ التشظية بالضغط

وهناك طريقة اخرى تستعمل في صناعة الادوات الحجرية وخاصة رؤوس السهام وهي التي تعرف بطريقة « التشظية بالضغط » **(Pressure Flabing)** اذ تؤخذ شظية حجرية ثم تقطع حافاتها بمطرقة (حجرية) لتكون على شكل ورقة متناسقة . ومن ثم تبرد الحافات بحجر رملي **Pereawseif labiy** من اجل **(bever))**
الحصول على حافة حادة . وعلى هذا النحو يتكون مستوى ضيق على كل جانب من الحافة . ثم يجلس صانع النبال مستندا اعلى احــــد

عقبيه بينما يمد رجله الاخرى الى امام ويضع امامه سندانا من الحجر على الارض . ثم يمسك بيده اليسرى بقطعة الحجر التي يريد ان يصنع منها النبلة ويضعها على وسادة من لحاء شجرة مزق السندان الحجري . ثم بعد ذلك يأخذ بيده اليمنى عودا صلبا مدبب الراس او قطعة من عظم الكنفر بحيث تكون النهاية الحادة القريبة من المعصم باتجاه جسمه . وبعد تثبيت الراس المدبب للعود على مستوى الحافة لقطعة الحجر يلقي بثقل جسمه على ذراعه الايمن وفي نفس الوقت يحرك رسغه مرة نحو الاسفل ومرة نحو الخارج . وعندئذ تنفصل قطعة صغيرة من السطح الاسفل للحجارة في حين « وجة » الدفع نحو الاسفل تكون قد امتصها الوسادة المصنوعة في لحاء الشجرة . ثم تعاد هذه العملية مرة اخرى من الحافة نحو النتوء وعندئذ تقلب الحجارة (السهم) وتستعمل نفس الطريقة في معالجة الجانب الاخر . ان رجلا محترفا في صناعة النبال الحجرية يمكنه ان يصنع نبلة من حجر زجاجي في مدة عشر دقائق .

ب ـ العظام : وبالاضافة الى الحجارة فقد استخدم انسان عصور ما قبل التاريخ عظام الحيوانات كادوات منذ العصور الاولى لوجوده ، ولا شك في ان استخدام العظام كان نتيجة طبيعية لصيد الحيوانات واعتماد الانسان على لحومها في غذائه . وكثيرا ما اعتاد انسان العصور الحجرية ان يكسر عظام الحيوانات في سبيل الحصول على نخاعها وهذه ظاهرة تعززها المكتشفات في الكهوف والمواقع الاثرية . ولاشك ايضا في انه اختار بعضا من تلك العظام واستخدامها بمثابة ادوات كما تثبت ذلك العظام التي عثر عليها مع انسان بكين في كهف جدكوثين في الصين . ومن المعروف انه يصعب قطع العظم بسكين من حجر الصوان مثلا ولذلك فان انسان العصر الحجري القديم حول العظام الى ادوات مفيدة وذلك عن طريق تكسيرها او تشظيتها . اما في العصر الحجري القديم الاعلى فقد اتقن الانسان طرقا عديدة لتكييف العظام والقرون والعاج الى ادوات مفيدة وذلك بثقبها او نشرها او شقها واخيرا بحكها على محك حجري . وقد استطاع انسان هذا العصر ان يصنع من قرون الايائل وعاج الماموت وعظام الحيوانات الاخرى ادوات واسلحة مثل المطارق والازاميل والصولجانات والنبال والحراب المسننة (الشائكة) وقاذفات الرماح والسهام.

جـ ـ كما استخدم الانسان ايضا الاخشاب لصناعة بعض من ادواته واسلحته .. غير ان الخشب ، كما هو معروف ، مادة سريعة التلف ، ولذلك لم يبق من ادوات انسان العصور الحجرية المصنوعة من هذه المادة الا ما تحجر منها . وعلى الرغم من ذلك فان باستطاعتنا الاستدلال على الاستخدام الواسع للخشب في صناعة ادوات انسان العصر الحجري القديم وذلك من خلال العثور على مزيد من المقاشط الحجرية المقعرة التي كانت تستخدم

لتقشير وتهيئة الرماح وما يماثلها من ادوات خشبية . اما الاثار الخشبية فهي كما قلنا نادرة جدا وان ما وصلنا منها من العصر الحجري القديم لا يزيد عن جزء من رمح واحد او رمحين كانت نهاية احدهما قد احرقت من اجل زيادة صلابتها .

اهم الاسلحة في العصور الحجرية :

أ ـ الفأس اليدوية :

قلنا في بداية حديثنا عن الانسان والاداة ان الحجارة الطبيعية كانت الاداة الاولى التي استخدمها الانسان في العصور الحجرية القديمة . وهناك من الباحثين من يعتقد بانه مر على الانسان عصر ، يمكن تسميته بالعصر الحجري السحيق الذي سبق العصر الحجري القديم ، اليه تعود الادوات الحصوية (Pebble Tools) البدائية التي استعملها الانسان والتي اجرى عليها شيئا بسيطا من التحوير او التشظية . والحقيقة هي ان مثل هذه الادوات الحصوية قريبة جدا الى الحجارة الطبيعية بحيث ان هناك من الباحثين من يشك في ان الانسان اجرى عليها اي تغيير يذكر وان ما يظهر عليها من اثار التشظية انما هو من فعل الطبيعة ليس الا . وعلى اية حال ، فان هذه الادوات الحصوية تعتبر اليوم من اقدم ما صنعت يد الانسان . وقد عثر على نماذج من هذه الادوات البدائية وهي من الحصى وحمم البراكين وحجر الكوارتز في مناطق عديدة من اوغنده ووسط افريقيا وجنوبها ، ويعود تاريخ بعضها الى نهاية الفترة الجليدية الاولى (في حدود ٥٠٠,٠٠٠ سنة قبل الان) ، وقد قام الانسان بتشظية الحصى بطريقة بدائية سجة على طول حافاتها مرة بهذا الاتجاه ومرة باتجاه اخر معاكس ولذلك تكون الحصاة ذات وجهين وتأخذ شكلا بيضويا او شكل الكمثرى .
ان هذه الادوات الحصوية تعتبر طليعة الفأس اليدوية التي تميز بها الدور الاول (الاقدم) من العصر الحجري القديم الادنى (Lower Balaeolitic) والمعروف بالدور الايفيلي (Abbevellian)

لقد صنع انسان العصر الحجري القديم الادنى الفأس اليدوية (Hand Axe) بطريقة تشظية الحجارة للحصول على لبها وجعله يأخذ شكلا مدببا . وعرفت صناعة هذه الفؤوس اليدوية بين المختصين باثار العصور الحجرية بصناعة اللب (Core Industry) لانها كانت تستعمل لب الحجارة في صناعة مثل هذه الادوات . والراجح ان صناعة الفؤوس اليدوية نشأت اول الامر في اواسط افريقيا وانها انتشرت بعد ذلك بفترة قصيرة نسبيا الى معظم انحاء القارة

ومن ثم انتقلت باتجاه الشمال الى غرب اوربا وربما الى جنـــوب شرق آسيا . وخير ما يمثل الفؤوس اليدوية النموذجيـــة من الدور « ابفيلي » برأسها المدبب وشكلها الذي يشبه الكمثري تلك التي اكتشفت تحت رمال شـــطآن نهـــر (Somme) في فرنسا والتي ربما يعود تاريخها الى فترة العصر الجليدي (في حدود ٤٥٠،٠٠٠ - ٢٥٠،٠٠٠) . وتعتبر الفأس اليدوية اول اداة اساسية استعملها انسان العصور الحجرية وهي ، مثل السكين ، كانت اداة ذات غرض عام . اذ من الواضح انها في هذه الحقبة من الزمن لم تكن مزودة بمقبض ولكن ما من شك في ان الانسان افاد من رأسها المدبب في ثقب جلود الحيـوانات وفي عزق جذور النبـــات وانه استخدمها ايضا كسلاح للدفاع عن نفسه وللاجهاز على الحيـوانات التي كان يصطادها .







٥ - فاس يدوية ذات رأس مدبب .

٦ - خبجر من حجر الصـوان .

٧ - سكين من الصـوان .

مما تجدر ملاحظته ان طرف التشظية التي جئنا على ذكرها قبل قليل تصلح بصـورة اساسية في صناعة المقاشط والسكاكين والنبال . ولكـن مهما كانت طريقة التشظية هذه دقيقة فانه لم يكن بالمستطاع اعطاء الفـاس

الحجرية حافة حادة وصقيلة لجعلها اداة اكثر فاعليـــة . ولذلك فان حاجة الانسان الملحـــة للفـــأس والقدوم والازميل ادت في النهاية الى ثورة في صناعة الادوات وذلك خلال العصر الحجري الوسـط (Merolithic) . اذ ان عملية شحذ وصقل الغطاء والعاج التي بدأت في ازمان العصر الحجـــــري القديم المتأخـــر (Late Ralaebthic) اصبحت تستعمل ايضا للحصول على حافة حادة في الفأس الحجرية . ولا يعرف على وجه التحديد فيما اذا كانت عملية شحذ الفؤوس وصقلها قد حدثت في وقت واحد تلبية لحاجة الانسان ام انها حدثت في منطقة معينة ثم انتشرت منها الى انحاء مختلفة . وعلى اية حال ففي خلال بضعة الاف من السنين شاعت عملية شحذ الفؤوس وصقلهـــا في انحاء واسعة من مجتمعـــات العصور الحجرية . فبعد ان يتم الحصول على القطعة الحجرية المناسبة لصنع الفأس تجري تشظيتها بطريقـــة الضربة المبـــاشرة (Direct Percunion) ومن ثم تشحذ الفأس وتصقل بحكها بقطعة من الحجر البركاني او الحجر الاخضر لاعطائها حافة حادة ووجهـــا صقيلا .

ب ـ الادوات والاسلحة النصلية : المقاشط ، السكاكين والخناجر :

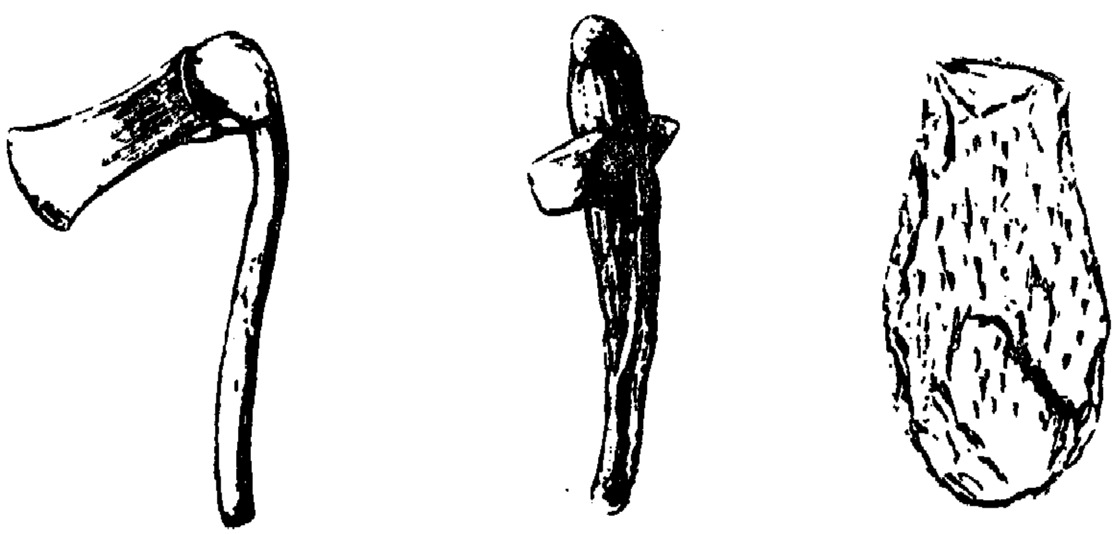
سميت بالادوات والاسلحة النصلية لانها تتكون اساسا من نصل (شفرة) . وهذه الادوات تكون ذات احجام مختلفة وتستخـــدم للقطع بصورة رئيسية وتصنع بطريقة التشظية . ومن الادوات النصلية الاساسية التي استخدمها انسان العصور الحجرية : المقـــاشط والسكاكين والخناجر .

ان اصغر هذه الادوات النصلية حجما هو المقشط الذي يمسك عادة باصابع اليد والذي يأخذ شكله في الفـــالب ما يقـــرب من نصف دائرة وهو ذو حافة حادة جدا اذ كان يستخدم لفصل اللحم عـــن العظام بالدرجة الاولى . والحقيقة هي أن المقشط كان عبارة عن سكين صغيرة ويشبهه المختصون بالاثار بمطواة او سكين الجيب (Pocket Knife)

اما السكاكين فانها تكون اكبر حجما عادة وهي على اشكال مختلفة كأن تكون مستطيلة ذات نصل ضيق وبحد واحد بينما تكون الحافة الثانية (العليا) عريضة وسمجة . وتأخذ السكين احيانا شكل ورقة شجر عريضة ذات حد واحد ولها رأس محدب . وقد صنع انسان العصور الحجرية السكاكين ذات الحدين (الحافتين) ايضا على شكل ورقة عريضة ذات نهاية مدببة . وفي بعض هذه السكاكين ذات الحدين يضيق النصل في نهايته فيكون مقبضا للســـكين . ولهذا يرى الباحثون في هذا النوع من السكاكين الحجرية بداية لما يعرف بالخنجر الذي يمكن استعماله للطعن والقطع في آن واحـــــد .

ولعــل من اشهر الخناجر واجملها الخنجر الذي عثر عليه في موقع جطل هيوك (Catal Hiyiuk) على بعد ٣٠ ميلا شرق قوبينه في تركيا . ان نصل هذا الخنجر من حجر الصوان وله نهاية مدببة وحافة حادة على الجانبين . ومما يزيد في جمال هذا الاثر الفريد قبضته المصنوعة من العظم والتي صيرت على شكل افعى ملتوية يبرز رأسها في اعلى المقبض . وقد عثر على هذا الخنجر في قبر لرجل في الطبقة السادسة من الموقع والتي يعود تاريخها الى النصف الأول من الالف السادس قبل الميلاد .

وهناك اثر فريد اخر هو ما يعرف بسكين جبل العرق (في مصر العليا). والتي يرجع تاريخها الى القرون الاخيرة من الالف الرابع قبل الميلاد . ولسكين جبل العرق مقبض مصنوع من العــاج عليه منظر في كل جانبيه . ويمثل المنظر الاول رجلا يقف بين اسدين وهو يدفعهما جانبا وتظهر امامه انواع مختلفة من الحيوانات الاخرى . ومما تجدر ملاحظته ان هناك شبها كبيرا بين صورة الرجل الواقف هذا وبين الرجل المنحوتة صورته على المسلة الحجرية المعروفة بمسلة صيد الاسود من مدينة الوركاء الذي يشاهد وهو يحمــل القوس ويرمي بالسهام اسدين . ان لكل من هذين الرجلين لحية طويلة وشعر طويل ، وكل منهما يشـــد عصابة حول الرأس وحزاما عريضا في الوسط . ومن



٨ ـ فاس يدوية من الحجارة مصنوعة بطريقة التشظية .
٩ ـ فاس ذات نصل حجري مصقول مثبت في تجويف في المقبض .
١٠ ـ فاس من البرونز لها مقبض خشبي مثبت في تجويف النصل .
١١ ـ رمح من الخشب والى جانبه مقشط مجوف من الحجر يستعمل لتشذيب الرماح والحراب .

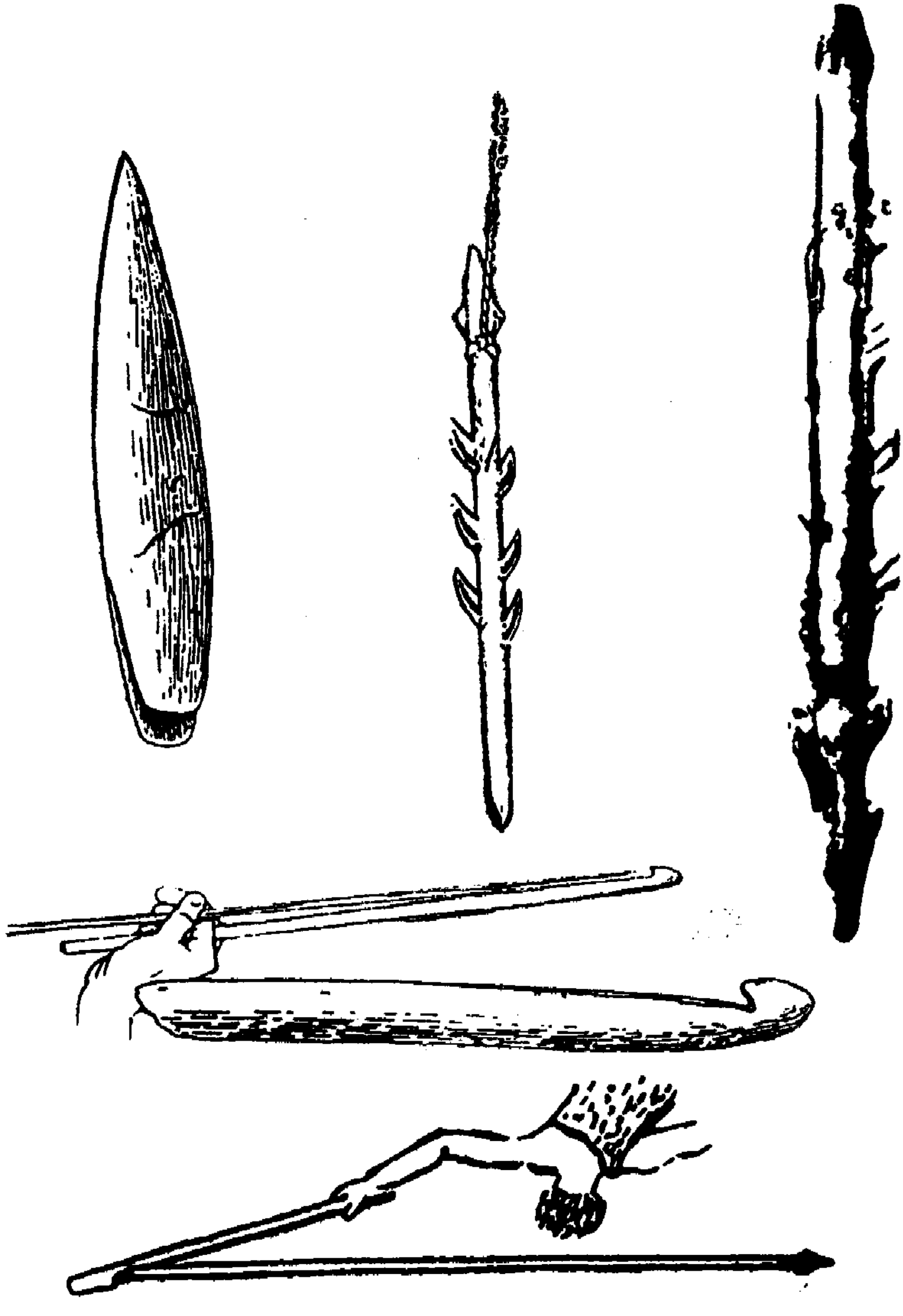
المعروف ان هذه الاساليب في الزي واللباس ترجع الى جذور سومرية . ولذلك يبدو واضحا انها وصلت الى مصر في هذا العصر المبكر (القرون الاخيرة من الالف الرابع قبل الميلاد) وانها اثرت بشكل واضح في نتاج الفنان المصري . اما الوجه الاخر من مقبض سكين جبل العرق فانه هو الاخر مزين بمنظر يحمل تأثيرات سومرية واضحة . والمنظر الذي نحن بصدده يصور رجالا عراة في حالة انتقال ويظهر تحت هذا المنظر مباشرة زوارق ذات النهايات العليا ومن النوع الشائع والمعروف في الاختام والاثار السومرية . اما منظر الرجال العراة فانه مستمد بكل تأكيد من المشهد السومري المعروف على الاناء النذري من مدينة الوركاء .

جـ ـ الرمح والحربة والسنان : ـ

يعتبر الرمح واحدا من اقدم الاسلحة التي استعملها انسان العصور الحجرية . ولاشك في ان فرعا من شجرة يمكن ان يكون رمحا بجهد قليل . وهو لذلك سلاح بسيط ومن السهل ان يحصل عليه الانسان شأنه شأن الحجارة الطبيعية التي تلتقط من الارض مباشرة . والرمح كسلاح يستعمل عن قرب ويمكن قذفه الى مسافة نحو الهدف المقصود . وقد ابتكر انسان العصر الحجري القديم ما يعرف بالقشط المجوف او المقعر (hallow, cie. Concave pcrape) الذي استخدمه في تشذيب وصقل قناة الرمح واعطائها رأسا (سنانا) حادا . ويظهر من كثيرة هذه المقاشط ان « صناعة » الرماح الخشبية كانت منتشرة في العصر الحجري القديم بشكل واسع .

من المعروف ان الخشب مادة سريعة التلف ولهذا فان ما وصلنا من رماح العصور الحجرية قليل جدا . ومن اقدم الرماح المكتشفة التي يعود تاريخها الى العصر الحجري القديم المبكر (Paleadethr) راس رمح من (Sarly Palaedithic)
خشب الطقوس عثر عليه في ارض طفالية متحجرة في مقاطعة (Emex) البريطانية . وهناك رمح اخر من خشب الطقوس ايضا حرقت نهايته لجعلها اشد صلابة وقد عثر عليه مع هيكل عظمي في منطقة (Leringen) في بريطانية ايضا . ومما تجدر الاشارة اليه ان احد الهياكل العظمية لانسان النيدرثال المكتشفة في جبل الكرمل فيها ثقب واضح يمتد من خلال راس احد عظام الفخذين الى الحوض . وقد اصبح القالب الجبسي الذي صنع لهذا الثقب انه يشكل راس (سنان) رمح خشبي . والى جانب الاثار المادية فهناك بعض الرسومات على جدران الكهوف تصور ، بين اشياء اخرى ، استخدام

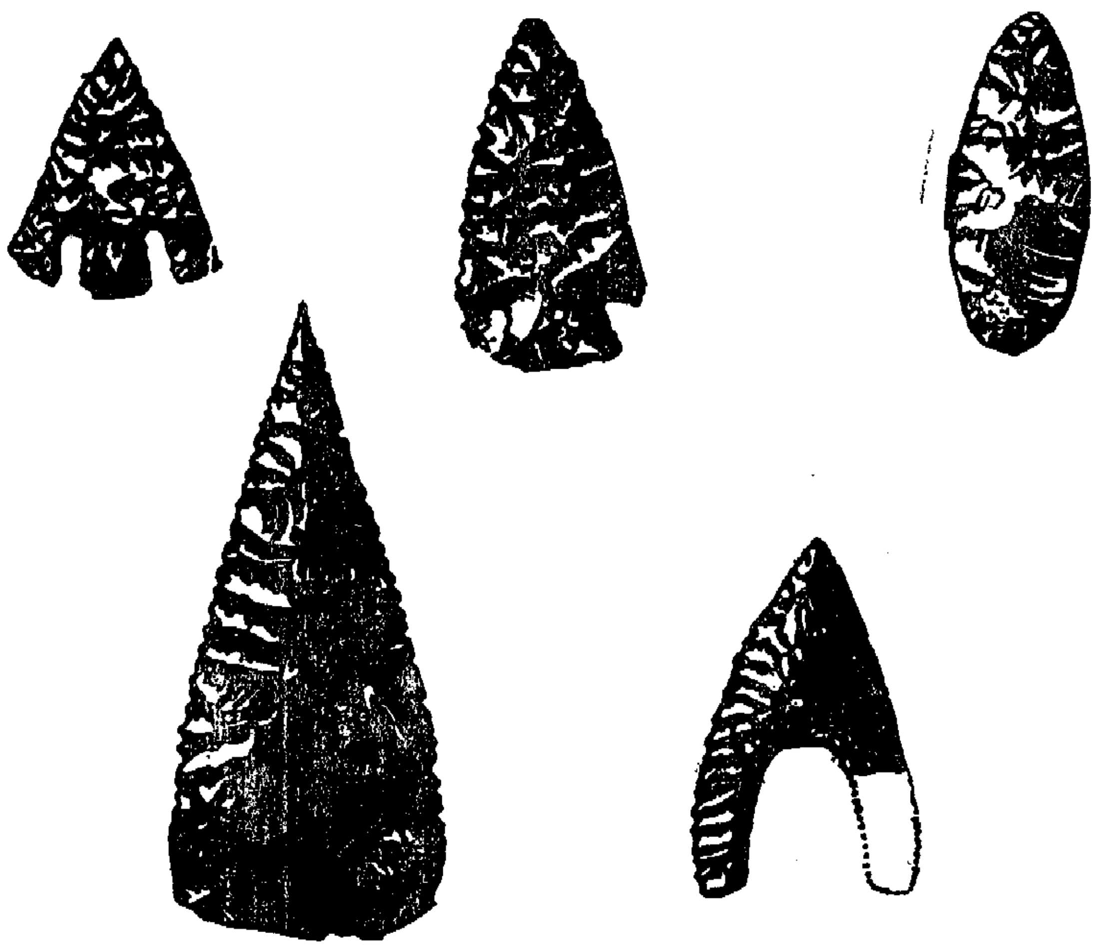
الرمح كسلاح في المعركة كما استخـدم انسـان العصر الحجري القديم ايضا الحراب المصنوعة من قرون الوعل بعضها ذات رؤوس مدببة مزينة بخطوط



١٢ ، ١٣ حربتان من قرون الوعل .
١٤ راس رمح من العظم مجوف لتثبيت القناة الخشبية .
١٥ قاذفة رمح .			١٦ – طريقة استعمال قاذفة الرمح .

او حزوز (بواسطة ازميل حجري) وبعضها الاخر مسنن بزعانف عريضة على كلا الجـــانبين .

ومن اجل الحصول على رأس حاد قوي فقد عمد انسان العصور الحجرية الى تثبيت سنان من الحجر في مقدمة الرمح . وكان السنان يثبت في القنـاة بواسطة سير من الجلد ، وفي العصور اللاحقة صار السنان سيلان يدخل في قناة الرمح وتبع ذلك تطور اخر فيما بعد حيث صار للسنان تجويف تدخل فيه القناة . وفي احيان اخرى استعمل انسان العصر الحجري قرون الوعل لصناعة اسنة الرماح .



١٧ ـ نبلة ورقيـة الشكل بسيطة .
١٨ ـ مثلثة ذات كتفين وسيلان .
١٩ ـ مثلثة ذات كتفين نسننين وسيلان .
٢٠ ـ نبلة مقصرة .
٢١ ـ نبلة مجوفة .

د ــ قاذفــة الرماح : ــ

استنبط انسان العصور الحجرية في الجزء الاخير من العصر الحجري ، وعلى وجه الخصـوص في الدور المجدليني (١٥٠٠٠ ــ ٨٠٠٠ ق.م) طريقة

جديدة لقذف الرمح وذلك باستخدام ما يمكن تسميته بقاذفة الرماح (Spear Thrower) التي هي عبارة عن هرادة من الخشب او قرن وعل . وبدلا من ان يرمي الانسان الرمح باليد مباشرة فانه في هذا العصر يثبت عقب الرمح في حفرة او تجويف في نهاية الهرادة او القرن . بعد ذلك يمسك الانسان القاذفة بفدق من مقدمتها ويمد ذراعه الى خلف حتى اقصى نقطة ممكنة للحصول على اكبر قدر ممكن من الزخم ثم يحرك القاذفة بسرعة نحو الامام لينطلق الرمح باتجاه الهدف . ومثلما تعطي الفأس اليدوية زخما كبيرا لليد ، فان قاذفة الرماح تعطي لليد طولا ومفصلا اضافيين ، كما انها تعطي للرمح او الحربة مدى اوسع . ولذلك فلا عجب اذا ما قام انسان العصر المجدليني بتزيين قاذفته بصور محفورة تمثل الحيوانات التي اصطادها بهذه الوسيلة المبتكرة والتي ظن ان فيها قوة سحرية كامنة تمكنه من طريدته .

هـ ـ القـوس :

لم يصلنا من قسي العصور الحجرية شيء يذكر لسبب بسيط هو انها كانت تعمل من اغصان الاشجار او شرائح الخشب وهي مادة سريعة التلف . ولذلك فان معلوماتنا عن القوس في العصور الحجرية مستمدة من مصدرين اساسيين . اولهما الرسوم التي تركها الانسان على جدران الكهوف وعلى الحجارة الجبلية والتي نشاهد في بعضها القوس ضمن الاسلحة التي استخدمها الانسان في تلك الازمان . وثانيهما وجود النبال الحجرية المكتشفة في مواقع العصور الحجرية والتي يستدل منها بطبيعة الحال على استخدام القوس والسهم .

ولنا ان نتصور ان القوس ، شأنه في ذلك شأن الاسلحة التي استخدمها انسان العصور الحجرية ، كان بدائيا اول الامر وانه كان يتكون من غصن شجرة يشد اليه وتر من الالياف النباتية او من جلد حيوان . ويكفي ان نقول في الوقت الحاضر ان القوس في بدايته كان بسيطا (غير مركب) ولكنه كان فعالا من دون شك . واول من استعمل القوس والسهم هو انسان الدور الكرافيني (في حدود ٢٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠٠ سنة ق.م) اي في الجزء المتأخر من العصر الحجري القديم الاعلى . ويبدو ان القوس اصبح يستخدم بصورة واسعة بدلا من الرمح . وتدل المشاهد الملونة التي رسمها الانسان على الصخور الجبلية على ان لقوس استعمل في الصيد والمعارك على حد سواء . ان القوس بنبلته الحجرية المدببة له مدى اطول ويمكن ان يصيب الهدف بدقة اكثر . كما ان له قوة خارقة توازي قوة رمح ينطلق من قاذفة للرماح . ولهذا صار في وسع الانسان ان يصيب طيرا محلقا في الهواء مثلما يصيب عددا له يركض في محاولة للهرب .

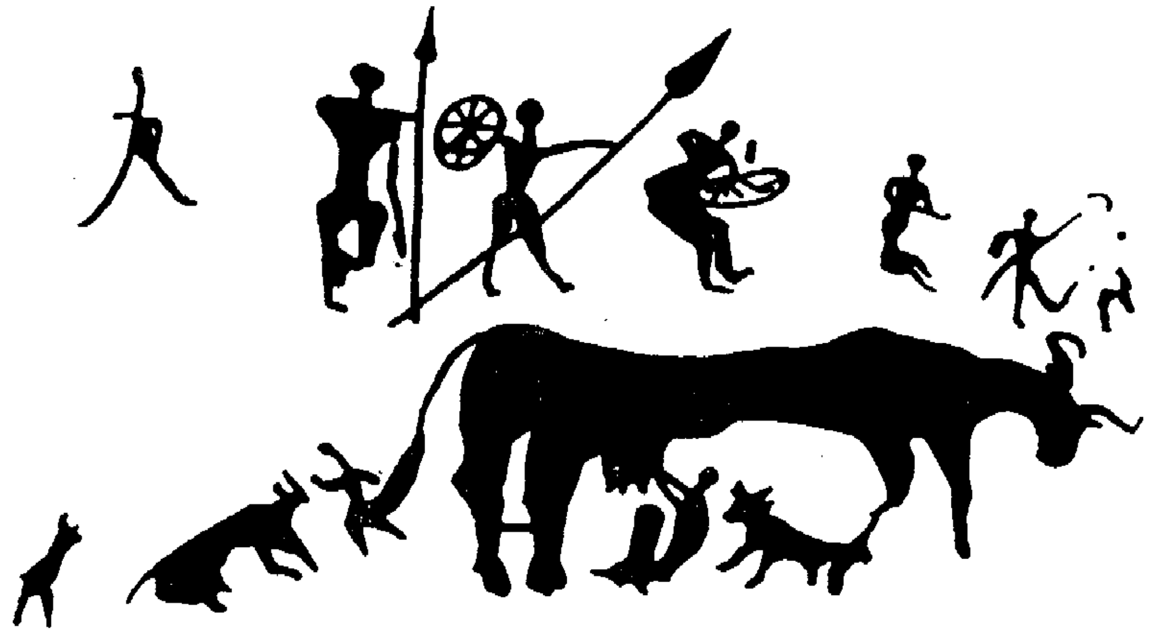


(رسوم على جدران الكهوف والصخور)

٢١ ، ٢٢ القوس سلاح استعمله انسان العصور الحجرية في القنص والقتال

(رسوم على جدران الكهوف والصخور)





٢٣ رجلان يحمل كل منهما رمحا طويلا له سنان ورقي الشكل



٢٤ الى اليسار رجال يشتبكون في معركة بالقسي والسهام ،
والى اليمنى امرأة تتسلق شجرة لتجني العسـل .

المعـــارك :

لاشـك في ان الاسلحة التي جئنا على ذكرها قد استخدمها انســان العصور الحجرية في صيد الحيـوانات باعتبارها مصدرا لغذائه وفي الدفاع

بها عن نفسه اتجاه الاخطار التي يكون مصدرها الحيوان أو الانسان . وهناك من الادلة الاثرية ما يشير الى ان انسان العصور الحجرية خاض الحروب ضد بني جنسه من البشر . فقد لاحظ علماء الاثار في طبقات مواقع اثرية في العصر الحجري الحديث من البلقان واليونان والاناضول وسوريا وايران وجود تغييرات مفاجئة في ادوات ونمط حياة سكان بعض قوى ذلك العصر . أن مثل هذه التغييرات من الوجهة الاثرية تعزى الى تعرض سكان القرية الى هجوم من اقوام اخرى للحصول على غلاهم ومنتوجاتهم ومراعيهم . وفي كثير من الاحيان كان ذلك يؤدي الى فناء سكان القرية المتعرضة للهجوم او هربهم او استعبادهم .

ومهما تعددت دوافع الحروب في العصور القديمة فانها من دون شك عملت على تناقص عدد الجنس البشري وزيادة ويلاته . ويصور احد الرسوم على الحجارة الجبلية ، الذي يعود تاريخه الى الادوار المتأخرة من العصر الحجري القديم الاعلى ، اشتباكا بين عدد من الاشخاص استخدموا فيه القسي والسهام بينما يظهر في الجانب الاخر من المشهد صورة أمرأة وهي تجني العسل ويشاهد اشخاص مسلحين بالقسي والسهام وهم يركضون وكأنهم مسرعين الى القتال .

التحصينات الدفاعية :ـ

ان شعور الانسان بوجود خطر يهدده من حيوان او انسان جعله يفكر في ايجاد وسيلة تضمن له السلامة والامان . ولاشك في ان انسان الكهوف راودته المخاوف من الحيوانات المفترسة وانه اتخذ الحيطة لمنعها من مهاجمته. وعندما نشأت القرى وتطورت الى مدن اصبحت حماية المجتمع البشري من الاخطار الخارجية مسألة ذات اهمية كبيرة . وسواء كان الاجراء المتخذ لتوفير تلك الحماية يتخذ شكل خندق او سور حول المدينة فان حفر الخندق او بناء السور كان يتطلب مشاركة جماعية من ابناء القرية او المدينة .

ويعتبر سور مدينة اريحا في فلسطين من اقدم التحصينات المعروفة في عصور ما قبل التاريخ اذ يعود تاريخه الى حدود ٧٠٠٠ قبل الميلاد . ومما يزيد في عظمة هذا الانجاز ان السور الحجري جرى بناؤه في زمن لم يكن الانسان قد توصل بعد الى استخدام الادوات المعدنية . وقد تبين من التحريات الاثار للموقع ان السور اعيد بناءه اربع مرات متتالية بسبب ارتفاع مستوى ارضيات السكن في الداخل نتيجة لتراكم الانقاض وتعاقب ادوار البناء . ويحيط بالسور من الخارج خندق محفور في الارض الصخرية بعرض ثمانية امتار وعمق مترين . وفي الجانب الغربي من السور الذي يرتفع الى ستة امتار يوجد برج دائري ضخم بني بالحجر ايضا ويرتفع الى علو تسعة امتار ويصل

قطره الم حوالي تسعة امتار ايضا عند القمة . ويخترق البرج خندق يحتوي على سلم يتكون من ٢٨ عتبة يزيد عرض الواحدة منها على المتر وتتكون كل عتبة منها من قطعة واحدة من الحجـــر . ويؤدي السلم عند نهايته السفلى الى ممر ينتهي بفتحة عند اسفل البرج . ولقد اثار سور مدينة اريحـا والبرج على وجه الخصوص تساءلات كثيرة مازالت الاجابات عليها غامضة لحد الان . وعلى اية حال فانه من الراجح ان الغرض من بناء البرج لم يكن لاغراض دفاعية لانه لم يبن على الجانب الخارجي في السور بل انه بني داخل السور . ومهما يكن الغــرض من البرج فمن المؤكد ان هناك ثلاث مراحل صاحبت بناءه .. فالخطوة الاولى كانت بناء البرج نفســه ، والثانية بناء السور الحجري حول البرج والثالثة بناء الســـور الخـارجي .

مراجع

لابد لنا ان نسير هنا الى ان الغــرض الاساسي من هذا البحث يهدف الى توضيح الجذور القديمة الاولى لظهور السلاح في العصور الحجرية . ذلك لان مثل هذه الدراسة ستكون بداية واساسا لدراسات اخرى لاحقة نتناول فيها « السلاح والجيش » في العصور التاريخية اللاحقة مع التركيز بالطبع على بلاد وادي الرافدين . وعلينا ايضا ان نثبت وللامانة العلمية باننا في هذا البحث ، وخاصة في الجزء الخـاص بصناعة الادوات والاسلحـة ، قد اعتمدنا بصورة رئيسية على ما كتبه الاستاذ o2kley في كتـــابه (Man the Toolmalaer) وذلك لكونه يتميز بسهولة العرض مع التركيز .

Asbley, M., odan His First Million Years (Mentor Book) 1960.

Gordon, C., what Happened in History (Benguin) Book) 1957.

——————, The Prebiotory of European Society (Penguin Book) 1958.

——————, edan Makes Himsel (Meater Been 1958.

Ozklay, K., euan the tool Maloor, 1952

Oztes, D. and J. The Rise of civiligation, 1976.

معارك تحرير العــــراق

« القسم الثاني »

الجهد العسكري العربي الاسلامي لتحرير العراق

الاستاذ الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي

عميد معهد الدراسات القومية والاشتراكية

نجحت الخلافة في تثبيت الوحدة السياسية في الجزيرة العربية بعد قضائها على حركات الردة والحركات الانشقاقية التي ظهرت اواخر ايــــام الرسول (ص) ، وقد ادرك الخليفة ابو بكر ان العرب « اصبحوا ابناء ابٍ واحد وامٍ واحدة » (١) وانهم اصبحوا قادرين على مواصلة تنفيذ السياسة التي وضعها الرسول القائد محمد بن عبد الله (ص) وكانت المهمة الثانية ضمــن المهام السوقية للرسول (ص) هي توظيف الوحدة النواة في الجزيرة العربية .

وتنفيذا لهذه الوصية اوعز الخليفة الى قائده خالد بن الوليد ان يتجه الى العراق بعد نجاحه في القضاء على ردة مسيلمة بن حبيب في اليمامة ، كما سير الجيــوش الى بلاد الشام ، غير أن اعتبارات سوقية تتعلق بطبيعة بلاد الشام المتحكمة بطرق المواصلات في الاقسام الشمالية من الوطن العربي ، واكمال الروم تحشدهم العسكري في وقت مبكر فرضت على الخليفة اعطاء جبهة الشام اولوية وابقاء جبهة العراق ميدان عمليــات ثانوية تمارسها القوات التي كانت بأمرة المثنى بن حارثة الشيباني ، وهي كافية لمواصلة شن الغارات طالما ان الدولة الســـاسانية تعـــاني من اوضاع داخلية سيئة ابرزها افتقاوها الى ملك يقودها ، اذ خلال الاربعين سنة الاخيرة بعد عهد انوشروان توالى على حكمها ثلاثة عشر ملك وملكة كلهم من الضعفاء وبعضهم غير صريحي النســـب الملكي (٢) . والراجح ان هذا اثر على قدرة الدولة على اتخاذ قرار حيث ظهر

عدم اتفاق على كيفية ادارة الحرب مع العرب المسلمين ، وقد ظهر مثل هـذا التردد قبيل معركة القادسية .

الجهد العسكري العربي الاسلامي لتحرير العـراق :

ابتدأ الجهد العسكري العربي الاسلامي بتوجيـه الخليفة ابا بكر الصديق لخالد بن الوليـد نحو العراق ، وفي الروايات التي وصلت الينا اتجاهين عن هذا الموضوع :

الاول ـ يشير الى توجه خالد بن الوليد من اليمامة الى العراق .

يقول البلاذري : « ثم ان ابا بكر كتب الى خالد يأمره بالمسير الى العراق » (٤) ويذهب مذهبه الطبري في روايات عدة (٥) ، واورد رسالة ابا بكر الى خالد « ان سر الى العراق حتى تدخلها وابدأ بفرج الهند وهي الابلة ، وتألف اهل فارس ومن كان في ملكهم من الامم » . ووفقا لهذا الاتجاه دخل خالد بن الوليد العراق من اسفله اخذا على النباج الى الحفير الى الابلة فالتقى قطبة بن قتادة السدوسي ودارت عـدة معارك بينهما وبين الفـرس منها موقعة السلاسل فيما بين الحفـير وكاظمة ، وموقعة المذار على دجلة قرب واسط الان . وموقعـة الولجة عند كسكر شرقي واسط . ثم معركة اليس ثم بعد ذلك دخل الحيرة ليبدأ جولة ثانية من المعارك (٦) . وفي هذا الاتجاه تأتي رواية هشام بن الكلبي وفيها ان ابا بكر وجه خالدا من اليمامة نحو الشام وامره بان يبدأ بالعـراق (٧) .

وقد توسع الطبري في اعتماد هذا الاتجاه فاشار الى مراسله خالد لكل من حرملة وسلمى والمثنى ومذعور يدعوهم الى اللحـاق به في الابلة حيث التقى هرمز (٨) وقوات هؤلاء القادة تنتشر حول الحيرة والسماوة وفي مناطق الاحواز ، بينما اشار البلاذري الى نزول خـالد بالخريبة وهي مسلحة فارسية وذكر معاركة بالمذار (٩) .

الاتجاه الثاني ـ يشير الى عودة خالد بن الوليـد من اليمامة الى المدينة ثم توجه بعد ذلك الى العراق . فيكون في هذه الحالة دخوله العراق من وسطه . يقول البلاذري نقلا عن الواقدي : « والذي عليه اصحابنـا من اهل الحجاز ان خالد قدم المدينة من اليمامة ثم خرج منها الـى العراق على فيد والثعلبية ثم الى الحيرة (١٠) » واورد الطبـري نفس الرواية ايضا مشيرا الى وعي الواقدي باختلاف الاراء حـول مسيرة خالد (١١) وترجيحه هذه الرواية .

اغلب الظن ان خالد رجع الى المدينة لعـدة اعتبارات منها :

اولا ــ ان معركة عقيرباء لم تكن معركة سهلة ومع ان المسلمين قدموا فيهـا (الفا ومائتا) شهيدا وانهم انهكوا القوة العسكرية الرئيسـية لبنـي حنيفة وهزموها وقتلوا مسيلمة الا ان المعركة انتهت صلحا وهي نتيجة لا تبرر الخسائر التي قدمت لها (١٢) .

ثانيا ــ ان المسلمين اختلفوا لاشياء غير واضحة في الروايات اثناء المعركة وربما طالت اختلافاتهم خالد بن الوليد نفسه (١٣) .

ثالثا ــ ان خالد بن الوليـد اقدم على الزواج من ابنة مجاعة بن مرارة احـد قادة بني حنيفة والذي سعى بالصلح مع خالد وهو امر يبد وانه ترك اثرا في اهل المدينة ممن استشهد ذويهم ، وقد استشعر ابا بكـر هذا الاثر وعبر عنه برسالته الى خالد بن الوليـد ونصها « أما بعد يابن الوليـد فانك فارغ القلب ، خشن العزاء عن المسلمين ، اذ قـد اعتكفت على النسـاء وبفناء بيتك الف ومائتا رجل من المسلمين منهم سبعمائة رجل من حملة القرآن ، ان لم يخدعك مجاعة بن مرارة عن رايك ان صالحك عنه « صالحته » صلح مكـر . وقد امكن الله منهم اما اذا الله ياخالد ما هي بنكر وانها شبيهة بفعلك بمالك بن نويرة فسوّة له ولا فمالة هذه القبيحة التي سـاقك في بني مخـزوم والسلام » (١٤) .

رابعا ــ كان طبيعيا لجيش خاض تلك المعركة وقدم فيها ما قدم من خسـائر وظهرت بينه تقولات ووجهات نظرا ان يستريح وان يعاد تنظيمه وكانت اغلبية الجيش من اهل المدينة وقد خيرهم بين الاستمرار مع خالد او العودة فعاد اهل المدينة وما حولها (١٥) .

لهذه الاعتبارات كلها اعتقد ان خالدا عاد الى المدينة ، عاد ليسمع الخليفة رايه بما ثار من لفظ واسبابه ، ويوضح له مبررات الصلح في معركة حسمت بالقوة وليقف على روايته لمقتل مالك بن نويرة وزواجه من ابنة مجاعة ، اذ من غير المعقول ان ينسحب اهل المدينة وما حولها من جيش خالد ويعود الى المدينة بدون قائدهم .

اغلب الظن ان خالدا رجع الى المدينة وانه توجه الى العراق منها ودخل العراق من ناحية الحيرة الحيث التقى بالمثنى بن حارثة الشيباني وحيث تتضح اخبار هذا اللقـاء وما ترتب عليه من عمليـات عسكرية في الروايات بشكل يجعل الاستنتاج السابق امرا واردا وربما تصبح رواية الطبـري عن خروج

خالد الى الحج ثم عودته الى الحيرة اكثر انطباقا على الواقع لو قال انها جرت بعد عودته من اليمامة فالظاهر ان ابا بكر خالدا وعاقبه (١٦) .

سار خالد بن الوليد الى العراق في محرم سنة ١٢ هـ (١٧) والراجح ان جيشه بلغ ما بين خمس مائة الى ثمان مائة مقاتل (١٨) بينما يشير الطبري الى ان جيشه الذي جاء معه من المراق بلغ تسعة الاف (١٩) وهو رقم مبالغ فيه بدليل روايته السابقة عن انفصال اهل المدينة من جيش خالد وقوله : فقيل له : اتمد رجلا قد ارفض عنه جنوده برجل » مما يشير الى ضآلة من بقي معه اضافة الى هذا الجيش الذي كان مع خالد عاد الى العراق بعد اليرموك بقيادة هاشم بن عتبة ومع ان الطبري قدر قوة تلك بستة الاف مقاتل (٢٠) الا ان رواياته اللاحقة عن تقدم هاشم تعطي الانطباع ان قوته بين سبع مائة الى ثمان مائة مقاتل (٢١) .

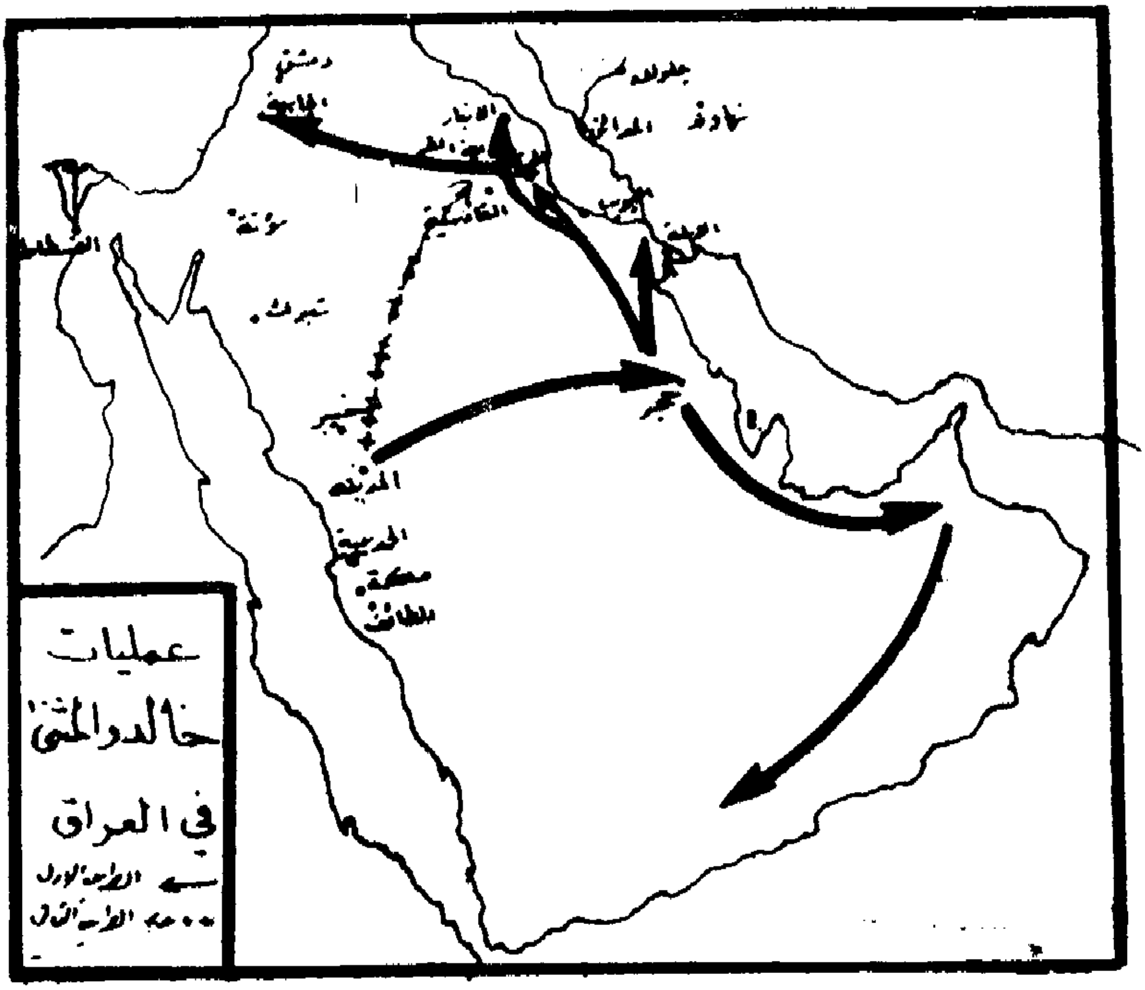
التقي خالد بالمثنى بن حارثة الشيباني في خفان من الصحـــراء ومـــن هناك بدأت علمياته العسكرية والراجح انها اخذت شكل غارات على مواضع تمتد على طول شاطىء الفرات جنوب الحيرة قبل ان يدخل الحيرة صلحا ، وفيها استلم كتـــاب ابي بكر يأمره فيه بالتوجه الى الشـــام . وفي روايات اخرى انه بدأ نشاطه العسكري في الابلة وما حولها ثم انتقل الى الحيرة والراي الاول هو الارجح .

سار خالد في شهر ربيع الاول وقبل الاخر سنة ١٣ هـ بجيشه نحـــو الشام آخذا على عين التمر صعودا مع نهر الفرات وقد قام بعمليات عسكرية على عدة مواقع في طريقه فأغار على الحصن والانبار والخنافس وصند وداء والمصيخ (٢٢) . وقد أورد حميد الله خان عدة مكاتبات بين خالد واهل هذه المناطق فذكر كتابه لاهل عين التمر وعانات والنقيب والكواثل وقرقيسباء (٢٣) وهي مواضع جميعها على نهر الفرات مما يعطي انطباعا ان خالدا سلك طريقه الى الشـــام بمحاذاة الفرات وليس كما ورد في روايات اخرى .

الجهد العسكري في العراق زمن الخليفة عمر بن الخطاب

ترتب على انتقال خالد بن الوليد الى الشام عودة جبهة العراق الـــى قيادة القادة المحليين ، وابرزهم المثنى بن حارثة الشيباني ، توفى الخليفة ابا بكر يوم الاثنين ٢٢ جمادي الاخرة سنة ١٣ هـ (٢٤) وتولى عمر بن الخطاب واحرز العرب انتصارا باهرا في اليرموك جعل الخليفة يطمأن الى مستقبل عملياته العسكرية في الشام فاتخذ قراره بتنشيط العمليات العسكرية في جبهة العراق ، فانتدب الناس الى العراق فاجتمع له الف مقاتل ، امر عليهم ابا عبيد

الثقفي ، بعد شهر من خلافته (٣٥) والتقى المثني بن حارثة الشيباني في خفان من جبهة الصحراء . الراجح ان ابا عبيد قام بعمليات عسكرية صغرى في مناطق النمارق والسقاطية بكسكر وباروسما والزوابي ونهر جوير (٣٦) قبل ان يلقى الفرس في قسر الناطف في المعركة التي استشهد فيها ابا عبيد واضطر المثنى بن حارثة بسببها ان ينسحب الى اليس ثانية . ويشير الطبري الى ان لحاق قبيلة بجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البجلي بجبهة العراق حدث في هذه الاثناء (٣٧) فلما اجتمع للمثنى من يعوض بهم خسارة الجسر عاد الى عملياته العسكرية وهاجم الفرس في معركة البويب وهزمهم وعزز بذلك النصر روح القتال عند جيشه . وقد حدثت وقعة البويب في يوم السبت اخر رمضان سنة ١٣ هـ (٣٨) .


عمليات
خالد والمثنى
في العراق

الهوامش

(١) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ١٢٦/١ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان : ١٤٤ ، الواقدي ، فتوح الشام ٢/١ أن عساكر ، التاريخ الكبير ١٢٦/١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ١٧٤/١ . تاريخ الطبري : ١٦٦/٢ ـ ٢٣٤ ابو حنيفة الينوري : الاخبار الطوال ، ٧٤ ـ ١١٠ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان : ٣٣٧ .

(٥) تاريخ الطبري : ٣٤٣/٣ رواية عبيد الله بن سعد الزهري عن عمه عن سيف بن عمر بن محمد عن الشعبي (الرواية) وعن عمر بن شبه عن علي بن محمد بالاسناد الذي تقدم (الرواية) وعن بن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن صالح بن كيسان . (الرواية) وعن عبيد الله عن عمه عن سيف عن المهلب الاسدي عن عبد الرحمن بن سياه وطلحة بن الاعلم عن المغيرة بن عتيبة (الرواية) .

وانظر ايضا احمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية : ٢٠/١ .

(٦) الجنرال أ . اكرم : خالد بن الوليد . اعتمد هذا الاتجاه في الروايات وبنى على اساسه دراسته لمعارك السلاسل والمذار والولجة واليس . ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٧) تاريخ الطبري : ٣٤٤/٣ .

(٨) تاريخ الطبري : ٣٤٧/٣ حرملة وسلمى من قادة عرب الاحواز الذين كانوا يناوشون الفرس قبل الاسلام .

(٩) فتوع البلدان : ٣٣٨ :

(١٠) فتوح البلدان : ٣٣٩ وانظر ابو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال : ١١١ .

(١١) تاريخ الطبري : ٣٤٣/٣ .

(١٢) نزار الحديثي : اليمامة وردة مسيلمة ، ص ١٧٥ ص ١٧٦ عن صلح اليمامة وص ١٨١ رأي عمر بن الخطاب بالصلح . وقيل ان الخسائر بلغت ١٧٠٠ شهيد .

(١٣) نزار الحديثي : اليمامة وردة نسيلمة : ص ١٧٣ .

(١٤) حميد الله خان : الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، نقلا عن كتاب الردة للواقدي ص ٢٧١ . وانظر ايضا الطبري : ٣٠٠/٣ .

(١٥) تاريخ الطبري : ٣٤٦/٣ .

(١٦) تاريخ الطبري : ٣٨٤/٣ واشار ثانية الى ممارساته في كتابه له يوم وجهه الى الشام انر ص ٣٨٥ ومثل هذا التكرار يعطي الانطباع ان الخليفة لم يهمل الملاحظات النقدية الموجهة لخالد وبالتالي من غير المعقول ان ينتظر ذهاب خالد الى العراق ثم عودته للحج ليعاتبه انظر ايضا ص ٣٩١ والحاج عمر علي ابا بكر في امر خالد .

(١٧) البلاذري : فتوح البلدان : ٣٣٩ وايده الطبري ٣٤٣/٣ وقال في محرم . وانظر الخارطة .

(١٨) البلاذري فتوح البلدان ، ١٥٢ ، تاريخ الطبري ٤٠٦/٣ .

(١٩) تاريخ الطبري : ٣٩٤/٣ وفي رواية اخرى عشرة الاف .

(٢٠) تاريخ الطبري : ٥٤٣/٣ .

(٢١) تاريخ الطبــــري : ٣/٥٥٢ ، ٥٥٣ .
(٢٢) البلاذري : فتوح البلدان ١٥٢ .
(٢٣) الوثائق النبوية : ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩ .
(٢٤) تختلف الروايات في تحديد زمن اليرموك فقد ذكر سيف بن عمر انها حدثت سنة ١٣ هـ ويرى الواقدي انها حدثت سنة ١٥ هـ وتجمع الروايات على انها حدثت في رجب الذي بعد وفاة ابي بكر والاختلاف في رجب السنين رجب ١٣ أو ١٤ أو ١٥ واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان وفاة ابي بكر تمت في ٢٢ جمادي الاخرة فالبريد يحتاج الى وقت لكي يصل الشام كما ان الخليفة عمر وجه مع البريد جملة اجراءات تتعلق بتنظيم الجيش واتجاهات الفتوح لذلك الراجح انها في رجب سنة ١٤ هـ .
(٢٢) تاريخ الطبري : ٣/٤١٩ المصادف ايلول ٦٣٤ م .
(٢٥) تاريخ الطبري : ٣/٤٤٨ . البلاذري : فتوح البلدان ، ٢٥٩ . ابو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال ١١٣ ذكر عدد الجيش خمسة الاف رجل .
(٢٦) تاريخ الطبــــري : ٣/٤٤٩ ـ ٤٥٠ . البلاذري : فتوح البلدان ٣٥٠ ـ ٣٥١ .
(٢٧) تاريخ الطبــــري : ٣/٤٦ .
(٢٨) تاريخ الطبــــري : ٣/٤٧٠ . البلاذري : فتوح البلدان ٣٥٢ .

بطولة نسيبة بنت كعب المازنية
في التاريخ العربي الاسلامي

الدكتور

محمد جاسم حمادي المشهداني

معهد الدراسات القومية والاشتراكية

ـ الجامعة المستنصرية ـ

يحفل التاريخ العربي الاسلامي بصورة رائعة شامخة من البطولة الحقة التي نلمسها في كل فرد من افراد ذلك التاريخ سواء كانوا رجالا او نساء ، حيث ان لتلك الصورة البطولية الـــرائعة اثرها الفاعل في خلق حالة الثقة بالنفس وعلى مختلف شرائح المجتمع وفي كل بقعة من بقاع الوطن العربي ، كما تعكس تلك الحـــالات البطولية عملية الخلق التاريخي في التاريخ العـــربي خصوصا ، والتاريخ الانساني عموما ، ذلك الخلق التاريخي الرائع الذي صنع التاريخ العربي الاسلامي ، الذي نفخر به ونعتـــز به الى اليوم . ومما يزيد في روعة تلك البطولات ان تكون الامراة العربية حالة من حالاتها المتكررة على مر مراحل تاريخها ، ومن هنا قادتني البطلة العربية نسيبة الانصارية (رضي الله عنها) الى الخوض في البحث عنها بين طيات المصادر ، كي تكون نموذجا حيا وصادقا يحتذى به بين نساء العرب ، فقيمة المراة بعفتها وبطولتها ، وعزمهـــا وصبرها ، وهذه القيمة هي التي جعلت من نسيبة الانصـــارية حالة متميزة وفريدة في تاريخ عصر صدر الاسلام .

شخصيتها :

ام عمارة بنت كعب بن عوف بن عمرو بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار ، مشهورة بكنيتها واسمها معا ، وهي زوجة زيد بن عاصم بن كعب المازني ، وام عمارة ، وحبيب ، وعبدالله الصحابي الجليل الذي استشهد في واقعة الحرة سنة ٦٣ هـ(١) .

روت عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، وبالاخص حديث : « الصائم اذا اكل عنده صلت عليه الملائكة(٢) » ، وروى عنها عكرمة بن عبدالله مولى عبدالله بن عباس(٣) ، واكد بن حجر روايته عنها(٤) . كما روى عنها عباس بن تميم بن غزيه الانصاري المازني المدني ، وهي جدته(٥) ، واكد ابن حجر روايته عنها(٦) ، وروى عنها الحارث بن عبدالله بن كعب ، واكد روايته عنها(٧) ، وحبيب بن زيد بن خلاد الانصاري المدني(٨) عن مولاة لهم لها ليلى عنها(٩) ، واكد ابن حجر رواية ليلى عنها(١٠) ، وروى لها الترمذي والنسائي وابن ماجه(١١) .

وروي انها اتت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت : « ما ارى كل شيء الا للرجال ، وما ارى النساء يذكرن »(١٢) فنزلت هذه الآية الكريمة : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما »(١٣) .

نسيبة وبيعة العقبة الثانية :

كانت نسيبة بنت كعب من اوائل النساء العربيات اللواتي بايعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيعة الرضوان (العقبة الثانية(١٤) ، وذلك عندما اجتمع الذين بايعوا الرسول الكريم في الشعب عند العقبة(١٥) ، وكن سبعون رجلا ، ومعهم امراتان من نسائهم ، نسبة بنت كعب أم عمارة ، وام منيع اسماء بنت عمرو بن عدي (احدى نساء بني سلمة ، ويصف كعب بن مالك(١٦) هذا الاجتماع في العقبة بقوله : « قمنا وتلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عيه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة(١٧) ، فاجتمعنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا معه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه احب ان يحضر امر ابن اخيه ، وتوثق له . . . فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال : ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون

منه نساءكم وابناءكم . قال . فاخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : « والذي بعثك بالحق لتمنعك مما نمنع منه ازرنا (١٨) » فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة(١٩) ، ورثناها كابـــرا عن كابر(٢٠) وروي ان امراتين بايعتا النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يصافح النساء ، انما كان يأخذ عليهن فاذا اقررن قال اذهبن ، والمراتانن هما من بني مازن بن النجار نسيبة واختها ابنتا كعب ، وكان مع نسيبة زوجها زيد بن عاصم(٢١) ، وقال كعب بن مالك : « ... ونحن ثلاثة وسبعون رجلا » ومعنا امراتان من نساءنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني مازن بن النجار ، وأم منيع اسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي ، احدى نساء بني سلمة(٢٢) » .

نسيبة ومعركة احد

ذكر خليفة بن خياط بان نسيبة كانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٣) ، وانها شهدت احد مع زوجها وابنـــاءها(٢٤) . وخرجت نسيبة الى احد ومعها شن(٢٥) دأما في اول النهار تريد أن تسقي الجرحى(٢٦) ، وروي عن ام سعد بنت سعد بن الـــربيع انها قالت : « دخلت على ام عمارة فقلت لها : يا خالة حدثيني خبرك ، فقالت : خرجت اول النهار الى احـــد ، وانا أنظر الى ما يصنع الناس ومعي اناء فيه ماء ، فانتهت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه ، والدولة(٢٧) ، والريح(٢٨) للمسلمين ، فلمــا انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت اباشـــر القتال واذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وارمي بالقوس ، حتى خلصت الى الجراح ، فرأيت على عاتقها جرحا له غور(٢٩) اجوف ، فقلت يا أم عمارة من اصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة اقماه الله » .

وكان ابن قمئة يقول لما رأى الناس ولوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا »(٣١) فاعترضت له نســـيبة فضربها ضربة وكان معها مصعب بن عمير وبعض الناس ممن ثبت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قالت : « فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان(٣٢) » وروت أم عمارة عن واقعة احد فقالت : لقد رأيت وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي الا تغيير ما يسمون عشرة ، وانا وابناي وزوجي بين يـــديه نذب عنه صلى الله عليه وسلم ، والناس يمرون به منهزمين ، ورآني صلى الله عليه وسلم لا ترس معي ، فرأى رجلا موليا معه ترس فقال : يا صاحب الترس الق ترسك الى من يقاتل ، فالقى ترسه فاخذته ، فجعلت اترس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما فعل بنا الافاعيل اصحاب الخيل ، لو كانوا رجاله مثلنـــا اصبناهم أن شاء الله ، فيقبل رجل على فرس فضربني وتترست له فلم يصنع

سيفه شيئا وولى ، واضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح : « يا ابن ام عمارة امك امك ! قالت : فعاونني عليه حتى اوردته الشعب(٣٣) » ووصف ابنها عبدالله بن زين بطولة امه يوم أحد فقال : « شهدت احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمي تذب عنه ، فقال : يا ابن ام عمارة ، قلت : نعم قال : ارم فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجـــر ، وهو على فرس فأصبت عين الفـــرس ، فاضطرب الفـــرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت اعلوه بالحجارة ، حتى نضدت عليه منها وقرا(٣٤) ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر ويبتسم ، فنظر الى جرح بأمي على عاتقها ، فقال : امك ، امك ، أعصب جرحها ، بارك الله عليكم من اهل بيت امقام امك خير من مقام فلان وفلان ومقام ربيبك ـ يعنـي زوج أمه ـ خير من مقام فلان وفلان ومقامك لخير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله ، أهل البيت ! قالت : ادع الله ان ترافقك في الجنة ، قال : اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة ، قالت : ما ابالي ما أصابني من الدنيا(٣٥) » ، وكان رســول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في أحد : « لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ! وكان يراها تقاتل يومئذ اشد القتال ، وانها لحاجـزة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثة عشـر جرحا »(٣٦) بين طعنة برمح أو ضربة بالسيف(٣٧) وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : « وما التفت يمينا ولا شمالا الا وأنا أراها تقاتل دوني »(٣٨) وروي عن جدة ضمرة بن سعيد قولها وكانت فيمن غسل نسيبة لما حضرتها الوفاة فقالت : « فعددت جراحاها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر جرحا » وكانت

تقول : « اني لانظر الى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها ، وكان اعظم جراحها لقد داوته سنة» (٣٩) ، وقال الواقدي : « انها قاتلت يومئذ ، وابلت بلاء حسنا ، ... »(٤٠)

وكانت ام عمارة هي الامراة القرشية الوحيدة التي قاتلت مع المســلمين يوم احد رغم عدد من النساء العربيات اللواتي كن يســـقين الماء ويداوين الجرحي ، ولما سالت ام عمارة : « هل كن نســـاء قريش يومئذ يقاتلن مع ازواجهن ؟ فقالت : اعوذ بالله ما رايت امراة رمت بسهم ولا بحجر ، ولكـن رايت معهن الدفاف والاكبار يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ، ومعهن مكاحل ومراود فكلما ولى رجل أو تكعكع(٤١) ناولته احدآهن مرودا ومكحلة ، ويقلن : انما انت امراة ، ولقد رأيتهن ولين مهزومات مشمرات ولها عنهن الـــرجال اصحاب الخيل ، ونجوا على متون الخيل ، يتبعن الرجال على الاقدام فجعلن يسقطن في الطريق ، ولقد رايت هند بنت عتبة وكانت امراة ثقيلة ولها خلق قاعدة خاشية من الخيل ما بها غشيء ، ومعها امـــراة اخـرى ، حتى كـر

القوم علينا فاصابوا مناما اصابوا فعند الله تحتسب ما اصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله صله الله عليه وسلم(٤٢) .

محاولة اشتراكها في غزوة حمراء الاسد

وعزمت ام عمارة على المشاركة في غزوة حمراء الاسـد ، لما نادى منادي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى حمراء الاسد فشدت عليها ثيابها ، فما استطاعت من نزف الدم ، وقد امضيت ليلها تكمد الجراح حتى الصباح ، فلما رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحمراء ما وصل الى بيته حتى ارسل اليها عبدالله بن كعب المازني يسأل عنها ، فرجع اليه بخبره بسلامتها فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك(٤٣) .

اشتراكها في واقعة اليمامة :

عندما الخليفة الراشد ابو بكر الصـديق (رض) محاربة المرتدين بعث خالد بن الوليد الى اليمامة ، وعندما سار جيش خالد بن الوليد جاءت نسيبة الى الخليفة ابي بكر فأستأذنته للخروج فقال : « قد عرفنا جزاءك في الحرب فاخرجي على اسم الله ، واوصى خالد بن الوليد بها ، كان مستوصيا بها(٤٥) ، فشهدت اليمامة واستشهد ابنها حبيب على يد مسيلمة الكذاب الذي قال له قبل قتله : « اتشهد ان محمدا رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول : اتشهد اني رسول الله ؟ فيقول لا اسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات في يديه لا يزيد على ذلك(٤٦) ، وظل يقاتل مع نسيبة ابنها الآخر عبدالله(٤٧) ، وقاتلت قتالا شديدا حتى قطعت يدها وجـرحت اثنى عشر جـرحا من بين طعنة وضربة(٤٨) ، ولما سألت عن قطع يدها قالت : « أصيبت يوم اليمامة لما جعلت الاعراب ينهزمون بالناس نادت الانصار ، اخلصونا ، فأخلصت الانصار ، فكنت معهم حتى انتهينا الى حديقة الموت(٤٩) فاقتتلنا عليها ساعة حتى قتل أبو دجانة على باب الحديقة ، ودخلتها وانا اريد عدو الله مسيلمة ، فيعترض لي رجل منهم فضـرب يدي فقطعها فوالله ما كانت لي ناهية ولا عرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولا ، وابني عبدالله بن زيد المازني يمسح سيفه بثيابه ، فقلت قتلته ؟ قال : نعم فسدت شكر الله(٥٠) » ، واكد ابن حجر بان ابنهـا عبدالله بن زيد هو الذي قتل مسيلمة الكذاب(٥١) . ولما انتهت المعركة وقضي على المرتدين ، صارت أم عمارة الى منزلها فجاءها خالد بن الوليد وهو يطلب من العرب مداواتها بالزيت المغلي ، فكان اشد عليها من القطع ، وكان خالد كثير التعاهد بها حسن الصحبة يعرف حقها ويحفظ فيها وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولما قدمت المدينة وبها الجراحة رؤي ابو بكر سيرتها ويسـأل عنها وهو يومئذ خليفة(٥٢) .

مكانة نسيبة عند عمر بن الخطاب (رض) :

وظلت منزلتها عظيمة عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) الذي أتى له بمروط (٥٣) ، فكان فيها مرط واسع جيد ، فقال بعضهم : « ان هذا المرط لثمن كذا وكذا ، فلو ارسلت به الى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد ، وذلك حدثان ما دخلت على ابن عمر ، فقال : أبعث به الى من هو أحق منها ام عمارة نسيبة بنت كعب ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم احد يقول : « ما التفت يمينا ولا شمالا الا وأنا ارها تقاتل ذوي (٥٤) » .

هـوامش البحث :

(١) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ج٤ (القاهرة ، ١٣٢٨ هـ) ٤١٨ ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ (حيدر اباد ، ١٣٢٧ هـ) ٤٧٤ ، ابن عبد البر الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ج٤ (القاهرة ، ١٣٢٨ هـ) ٤٧٥ ـ ٤٧٨ (مطبوع في هامش ، الاصابة لابن حجر) ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٢ (بيروت ، طبعة دار الفكر ، ص ١٦٨ .

(×) واقعة الحرة : نسبة الى حرة واقم : وهي احدى حري المدينة وهي الشرقية ، وحدثت فيها وقعة الحرة المشهورة في ايام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣ هـ / وامير الجيش من قبل يزيد سلم بن عقبة المري « ياقوت الحمدي ، معجم البلدان ، بيروت ، طبعة دار صادر ج٢/٢٤٩ .

(٢) خليفة بن خياط ، الطبقات ، تحقيق د. اكرم العمري (بغداد ١٩٦٧) ٣٢٩ وابن حجر ، الاصابة ، ٤/٤١٨٠ ،

(٣) هو عكرمة بن عبدالله مولى ابن عباس ، اصله بربري ، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير توفي سنة ١٠٧ هـ (انظر ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج٢ (بيروت ، ١٩٧٥) ٣٠

(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٢٦٤/٧

(٥) نفسه ، ٤٧٤/٤

(٦) نفسه ، ٩٠/٥

(٧) نفسه ، ٤١٨/٤

(٨) نفسه ، ٤٧٤/٤ ، تقريب التهذيب ١٤٩/١

(٩) تهذيب التهذيب ، ٤٧٤/٤

(١٠) نفسه ، ٤١٨/٤ « قال ابن حجر : هي ليلى مولاة ام عمارة الانصارية ، مقبولة « تقريب التهذيب ، ٦١٣/٢ » .

(١١) عمر رضا كحالة ، اعلام النساء ، ج٥ (دمشق ، ١٩٥٩) ١٧٥

(١٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤٧٧/٤

(١٣) سورة الاحزاب ، الاية ٣٥

(١٤) ابن حجر ، الاصابة ، ٤٧٦/٨٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤٧٥/٤٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥٠/٣ .

(١٥) العقبة : موضع بمكة بينها وبين منى ، تبعد عن مكة نحو ميلين « الحمدي ، معجم ١٣٤/٤

(١٦) كعب بن مالك :

هو كعب بن مالك بن ابي كعب الانصاري السلمي المدني الصحابي الجليل مات في خلافة علي (رضي الله عنه) (ابن حجر ، تقريب التهذيب ١٣٥/٢) .

(١٧) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ (بيروت ، ١٩٧٨) ١٩٦ ـ ١٩٧

(١٨) ازرنا : قال الرازي : « ... و (المئزر) الازار كقولهم ملحق ولحاف ومقرم ... مختار الصحاح ، (بيروت ، ١٩٦٧) ص ١٥ »

(١٩) الحلقة : الدروع « الرازي ، مختار الصحاح ، ١٤٩ »

(٢٠) الطبري ، تاريخ ، ٣٦٢/٢

(٢١) ابن حجر ، الاصابة ، ٤١٨/٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤٧٥/٤ـ٤٧٨ .

(٢٢) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ١٩٧/٢

(٢٣) خليفة بن خياط ، الطبقات ، ٣٤٠

(٢٤) الواقدي ، المغازي ، ٢٦٨/١ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٧٤/١٢ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤٧٥/٤ ـ ٤٧٨ « وذكر الواقدي » وابن حجر ، ان زوجها في احد كان غزيه بن عمرو ، وذكر ابن عبد البر استنادا الى ابن اسحاق ان زوجها زيد بن عاصم »

والصواب ان زوجها كان غزيه بن عمرو في معركة احد ، بدليل ما قاله الرسول الكريم (ص) لابنها زيد بن عاصم ، « ... مقام املء خير من مقام فلان وفلان ومقام ربيبك – يعني زوج امه – خير من مقام فلان .... (الواقدي ، المغازي ، ١/٢٧٢–٢٧٣)

(٢٥) شن : والشن : القربة الخلق ... « الرازي ، مختار الصحاح ، ٣٤٨ »
(٢٦) الواقدي ، المغازي ، ٢٦٨/١
(٢٧) الدولة ، المراد بها هنا الغلبة .
(٢٨) الريح ، النصر
(٢٩) غور : كل شيء قعره ، وماء غور اي غائر .... « الرازي ، مختار الصحاح ، ٤٨٤ »
(٣٠) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٩/٣ – ٣٠ ، ابن بكر ، السيرة النبوية ، ٢٩/٣–٣٠ ، ابن حجر ، الاصابة ، ٤٠٨/٤ .
(٣١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٩/٣ ، ٣٠ ، الواقدي ، المغازي ، ٢٦٩/٢ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٦٧/٣–٦٨
(٣٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٠/٣ ، الواقدي ، المغازي ٢٦٨/١–٢٦٩ ، أبن كثير ، السيرة النبوية ، ٦٧/٣–٦٨
(٣٣) الواقدي ، المغازي ، ٢٧٠/١
(٣٤) الوقر : حمل الدابة « فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان ألاسلامية ، ترجمة د. كامل العسلي » (عمان ، ١٩٧٠) ٥٧
(٣٥) الواقدي ، المغازي ، ٢٧٢/١١–٢٧٣
(٣٦) نفسه ، ٢٦٩/١
(٣٧) نفسه ، ٢٦٩/١
(٣٨) نفسه ٢٧١/١
(٣٩) نفسه ، ٢٧٠/١
(٤٠) نفسه ، ٢٦٩/١
(٤١) تكمكع : اي احجم وتاخر الى الوراء (النهاية ٢٣/٤)
(٤٢) الوأقدي ، المغازي ، ٢٧٢/١
(٤٣) نفسه ، ٢٧٠/١
(٤٤) اليمامة : بينها وبين الهجرين عشرة ايام ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر ، افتتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ « الحموي ، معجم ٤٤٢/٥ »
(٤٥) ابن عبد البر ، الاستيعاب ،
(٤٦) ابن كثير ، البداية النهاية ، ١٦٨/٣
(٤٧) بن حجر ، الاصابة ، ٤١٨/٤
(٤٨) نفسه ، ٤١٨/٤ ، ٤٧٦ – ٤٧٧ ، ابن كثير ، البدأية والنهاية ١٦٨/٣
(٤٩) حديقة الموت : وهي البساتين التي كانت بقنا حجر من ارض اليمامة لمسيلمة الكذاب ، كانوا يسمونه حديقة الرحمن ، وعنده قتل مسيلمة فسموه حديقة الموت « الحموي ، معجم البلدان ٢٣٢/٢ » بيروت طبعة اخبارية المعجم
(٥٠) ألواقدي ، المغازي ، ٢٦٩/١
(٥١) ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ٤١٧/١
(٥٢) كحالة ، اعلام النساء ، ١٧٥/٥ .
(٥٣) المروط : بكسر الميم وهي اكسية من صوف او خز كان يؤتز بهما « الرازي ، مختار الصحاح ، ٦٢١ – ٦٢٢ »
(٥٤) الواقدي ، المصور السابق ، ٢٧١/١

فيء بني النضير وسياسة الرسول (ص) المالية في المدينة

« دراسة تاريخية نقـدية »

د . هاشم يحيى الملاح و نجمـان ياسـين

استاذ التاريخ الاسـلامي ـ كلية الاداب جامعة الموصـل

مدرس التاريخ الاسلامي المساعد كلية الاداب ـ جامعة الموصل

تمهيـد :

لقد حرص الرسول ـ ص ـ بعد هجرته الى المدينة على اقامة علاقات ايجابية مع اليهود ، فكتب كتابا « بين المهاجرين والانصـار وادع فيه يهـود وعاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم »(١) وكان مما جاء في هـذا الكتاب ان اليهود امة مع المؤمنين وان عليهم تبعا لذلك ان يقدموا النصيحة للمؤمنين وان ينفقوا معهم « ما داموا محاربين » كما تقرر ان اليهود يلتزمون بواجب الدفاع عن المدينة مع المسلمين ويتضامنون معهم ضد قبيلة قريش التي كانت في حالة حرب معهم : « وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب » .

وتوقع الرسول ـ ص ـ بعد كتـابة الصحيفة ان تتطور العلاقات مع اليهود بشكل ايجابي يؤدي في النهاية الى اندماجهم في الامة الناشئة ، غير ان اليهود كانوا حريصين على المحـافظة على عزلتهم التاريخية وعدم الاندماج في المجتمع الجديد ، وعليه فقد اخذوا يتوجسون خفية من انتشار الاسـلام في المدينة ، وازداد خوفهم بعد انتصار المسلمين على مشركي مكة في معركة بدر ، لذا فقد اخذوا يتنكرون لتحالفهم مع المسلمين وشرعوا بتوجيه الانتقادات الى

الرسول ـ ص ـ والطعن في تعاليم الرسالة الاسلامية ثم تمادوا في المعارضة عن طريق التحالف مع منافقي المدينة وقبيلة قريش ، ومن هنا أخذت العلاقات بين المسلمين والقبائل اليهودية في المدينة تتدهور ، وكانت أول قبيلة نقضت عهدها مع الرسول ـ ص ـ هي قبيلة بني قينقاع فاضطر الرسول ـ ص ـ الى محاربتها واجلائها عن المدينة ، وأعقبتها قبيلة بني النضير التي لم تستطع اخفاء فرحتها بخسارة المسلمين لمعركة أحد ، وقالوا ـ أي اليهود من بني النضير ـ : « اليوم بطل سحر محمد واخذوا يرددون : ما محمد الا طالب ملك ، ما اصيب هكذا نبي قط ، اصيب في بدنه وأصيب في اصحابه »(٢) .

ويظهر ان دور يهود بني النضير ، كان يتعدى مجرد الشماتة بخسارة المسلمين لمعركة أحد اذ أن هنالك ما يشير الى انهم كانوا يتعاونون مع قبيلة قريش ضد المسلمين فقد روى موسى بن عقبة ان يهود بني النضير كانوا قد : « دسوا الى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله فحضوهم على القتال ودلوهم على العورات »(٣) .

وفي ضوء ما تقدم لا يبدو من الغريب ان يحاولوا في النهاية اغتيال الرسول ـ ص ـ حينما قدم الى ديارهم لطلب معاونتهم في دفع دية رجلين قتلهما أحد اصحابه وهو عمرو بن امية الضمري بموجب قواعد الحلف الذي بينه وبينهم .

لقد اراد يهود بني النضير استغلال فرصة وجود الرسول ـ ص ـ في ديارهم للتخلص منه وبذلك يحققون هدفهم الذي عبر عنه زعيمهم حي ابن اخطب حينما قال : ان قتل محمد تفرق اصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم ، وبقي من هاهنا من الاوس والخزرج حلفاءكم »(٤) .

وقد شعر الرسول ـ ص ـ بسوء نية اليهود فتسلل خارجا من ديارهم قبل ان يتمكنوا من تنفيذ مؤامرتهم ضده ، ثم بعث محمد بن مسلمة من الاوس ـ وكانوا حلفاء لبني النضير ـ ليبلغهم جواب الرسول ـ ص ـ على غدرهم ونقضهم للعهد بقوله : « اخرجوا من بلدي ، فقد اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه » (٥) . ولم يكن القرار اعلاه يتضمن اكثر من طلب الجلاء عن المدينة ، ومن ثم فقد كان يحق ليهود بني النضير في حالة قبولهم له ان يحتفظوا بأراضيهم واموالهم حيث ان بأمكانهم اخذ اموالهم المنقولة معهم واستثمار اموالهم غير المنقولة بالواسطة ، وقد عبر عن هذا المعنى سلام بن مشكم احد زعماء اليهود حينما نصح قومه بالامتثال لاوامر الرسول ـ ص ـ بقوله : « فنقبل ما أعطانا من الامن ونخرج من بلاده . . فاذا كان أو ان الثمر جئنا او جاء منا الى ثمره فباع أو صنع ما بدا له ثم انصرف الينا ، فكأنا لم نخرج من بلادنا اذا كانت اموالنا بأيدينا »(٦) ، غير ان يهود بني النضير لم

يمتثلوا لاوامر الرسول ـ ص ـ بالجلاء عن المدينة وقد شجعهم زعيم المنافقين في المدينة عبدالله بن ابي على اتخـــاذ هذا الموقف بقوله : « ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم أن قاتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم » (٧) ممـــا يدل على وجود تحالف مصيري بينهم وبين المنافقين يقف في مواجهة الرســول ـ ص ـ .

اعتبر الرسول ـ ص ـ رفض اليهود الانصياع لامره بالجلاء عن المدينة بمثابة اعلان حرب فقال : « حاربت يهود »(٨) ثم طلب من اصحـابه التوجه نحو ديار بني النضير لمحاربتهم ، وكان ذلك في شهر ربيع الاول من الســنة الرابعة للهجرة(٩) فحاصرهم وهم في قلاعهم وشـــدد عليهم الحصار ثم قام بتحريق مزارعهم وبعض نخيلهم مما اثر عليهم كثيرا خاصة وان المنـافقين لم يخفوا لمساعدتهم ونجدتهم كما وعدوا ، لذا ارســلوا الى الرسول ـ ص ـ يعلنون موافقتهم على الجلاء بالشروط السابقة الا ان الرسول ـ ص ـ أوضح لهم ان تلك الشروط كانت قبل القتال ، اما وقد اختـاروا الحرب فأن عليهم الاستسلام وفقا للشروط الجديدة وهي ان يقوموا بالجلاء عن المدينة على ان « لهم ما حملت الابل من اموالهم الا الحلقة »(١٠) اي ان يتخلــوا عن بيوتهم واراضيهم مقابل ضمان سلامة ارواحهم وان يأخذوا معهم أموالهم المنقولة التي يستطيعون نقلها بواسطة الابل ما عدا السلاح وقد تــردد اليهود « يومين أو يومين »(١١) في قبول هذه الشروط ثم اعلنوا الاستسلام بعد أن ادركهم اليأس.

عدد بني النضير :

ان ما تقدم يشير الى ان بني النضير كانوا اضعف من المســلمين كثيرا لانهم لم يستطيعوا المقاومة بشكل جاد واكتفوا بالاحتماء بحصونهم على أمل أن يدرك التعب المسلمين فينصرفون عنهم ، فلما أيقنوا من جدية المســلمين في القتال ورأوا مزارعهم يصيبها الخراب على أيديهم شعروا بالعجز والخـذلان ولم يلبثوا أن اعلنوا الاستسلام .

فكم كان عدد رجالهم القادرين على القتال في ذلك الوقت كي يتصـرفوا بهذه الطريقة ؟

لم نعثر على نص صريح في المصادر التي بين أيدينا لمعرفة عدد يهود بنـي النضير ، لذا فلا بد من الرجوع الى بعض الاشارات والقرائن التي قد تســاعد على معرفة عددهم ولو بصورة تقريبية .

ذكر الطبري ان الرسول ـ ص ـ حينما اجلى يهود بني النضــير عن المدينة « جعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء »(١٢) ولكنه لم يذكر لنا عدد الجمال التي خصصها لهم ، اما الواقدي وابن سعد فقد ذكروا ان يهود بني النضـير

احتملوا اموالهم على ستمائة بعير(١٣) ، وبذلك يمكن ان نستنتج من الجمع بين الخبرين ان عدد يهود بني النضير كان بحدود ١٨٠٠ نسمة ، فأذا افترضنا ان نسبة الرجال الى النســـاء كانت بحدود النصف ، فأن عدد الذكور من بني النضير كان بحدود ٩٠٠ بما فيهم الشيوخ والصبيان ، فاذا استبعدنا هؤلاء على القتال وهم بحدود ٤٥٠ رجلا ، ان هذا التقدير لعدد الـرجال القادرون على القتـــال يتفق مع ما اورده الواقـــدي من ان الاســـلحة التي اخذها الرسول ـ ص ـ من بني النضير كانت « خمسين درعا ، وخمسين بيضـــة وثلثمائة سيفا واربعين سيفا ويقال غيبوا بعض سلاحهم وخرجوا به »(١٤) ، فاذا كان عدد السيوف التي غنمها الرسول ـ ص ـ من بني النضـــير ٣٤٠ سيفا عدا بعض السيوف التي نجحوا بأخفائها فلا بد أن عـدد مقاتليهم كان يتراوح بين الـ ٣٥٠ والـ ٤٥٠ مقاتلا كما قدرنا . ان هذا العدد يقل كثيرا عن عدد مقاتلة المسلمين الذين اشتركوا في معركة احد وهو يفسر لنا تخاذل بني النضير امام المسلمين ، سيما، بعد تيقنهم من عدم تلقي مساعدة من المنافقين ومن يهود بني قريظة .

اموال بني النضـــير :

لا تمدنا المصادر التاريخية ببيانات واضحة عن مقدار الاموال التي كـان يمتلكها بنو النضير حين اجلاهم الرسول ـ ص ـ عن المدينة ، لذا فلا مناص امام الباحثين من العمل على تجميع بعض الاشارات والاخبار من أجل تكـوين صورة تقريبية عن حالتهم الاقتصادية ومقدار اموالهم وحسب التفصيل الآتي :

١ ـ لقد ذكر حي بن اخطب زعيم يهود بني النضير قدرتهم على الصمود في وجه حصار المسلمين لمدة سنة لان حصونهم متينة ولديهم طعام يكفيهم لمدة سنة(١٥) ، مما يدل على غنى هذه القبيلة وكثرة اموالها .

٢ ـ روى الواقدي ان يهود بني النضير قالوا حينما اراد الرسول ـ ص ـ اخراجهم من المدينة : « ان لنا ديونا على الناس الى آجال ، فقال رسول الله ـ ص ـ : تعجلوا وضعوا ، فكان لابي رافع سلام بن ابي الحقيق على اسيد بن حضير عشرون ومائة دينار الى سنة فصالحه على أخـذ رأس ماله ثمانين دينارا وابطل ما فضل » (١٦) وهذا يدل على امتـــلاك يهود بني النضير لفائض نقدي يقومون باقـــراضه الى الناس رغم أنهم كانوا يحترفون الزراعة وليس التجارة أو الصيرفة .

٣ ـ ذكر الواقدي رواية عن الرسول ـ ص ـ يصف فيها حالة بني النضير حين أجلاهم جاء فيها : « ثم شقوا اسواق المدينة ، والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج ، وقطف الخز الخضر والحمر ، وقد صف لهم

الناس ، فجعلوا يمرون قطارا في اثر قطار ، فحملوا على ستمائة بعير »(١٧) ، كما أشير الى ان نساء سراتهم ووجوههم كن يتزين بالحلي فكان « في ايديهن اسورة الذهب والدر في رقابهن »(١٨) .

ان ما تقدم يدل على ان حالة يهود بني النضير الاقتصادية كانت جيدة بدليل مظاهر الترف التي كانت بادية على نسائهم وهن يغادرن المدينة .

٤ ــ روي عن حسان بن ثابت انه قال في وصف سراة بني النضير « اما والله لقد كان عندكم لنائل للمجتدي وقرى حاضر للضيف وسقيا للمدام »(١٩)، مما يشير الى غنى رجالات بني النضير الامر الذي يتيح لهم مجال الانفاق بسخاء على ضيوفهم ومن يقصدهم .

ويبدو ان مظاهر الثروة المشار اليها اعلاه كانت نتيجة لنشاط بني النضير في مجال الزراعة حيث كان بحوزتهم اجود الاراضي واخصبها ، اذ اقام بنو النضير بالعوالي في الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مذينيب الذي تصب مياهه في وادي بطحان ، وكانت هذه الاراضي ذات تربة بركانية خصبة ــ حرة ــ اضافة الى توفر المياه التي تسيل في الوديان مما يساعد على قيام زراعة ناجحة(٢٠) ، وكانت زراعة النخيل هي عماد المزروعات في المدينة ، وقد اشتهر بنو النضير بزراعة بعض انواع النخيل التي تنتج انواعا ممتازة من التمور مثل التمر الذي يقال له اللون* ، وكان « اصفر شديد الصفرة ترى النواة فيه من اللحمة »(٢١) ، وقد كانت مزارع النخيل ذات قيمة كبيرة بالنسبة لبني النضير ولذا لجأ الرسول ــ ص ــ اثناء حصاره لهم الى قطع النخيل وتحريق بعضه الآخر مما اثار القلق والفزع في نفوس اليهود وجعلهم يخاطبون الرسول ــ ص ــ بقولهم : « يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها »(٢٢) ، وقد اشير الى انه كان يزرع الى جانب النخيل بعض انواع الحبوب كالشعير والقمح وبعض اشجار الفاكهة كأشجار الكروم والرمان بالاضافة الى بعض الخضروات والبقول كالقرع واللوبيا والسلق والبصل والثوم والقثاء »(٢٣) .

ولعل الصورة المتقدمة عن اوضاع بني النضير الاقتصادية ــ رغم عدم تكاملها ــ تدل على ان أراضيهم ومزارعهم كانت كافية لضمان المستوى المعاشي اللائق لعددهم الذي قدرناه بحدود ١٨٠٠ نسمة ، بل ان هنالك ما يدل على ان وضعهم الاقتصادي ، كان افضل من وضع بقية يهود المدينة ، فقد ذكر الواقدي ان سلام بن مشكم احد زعماء بني النضير حاول اقناع قومه بقبول طلب الرسول بالجلاء عن المدينة مقابل احتفاظهم بأرضهم بقوله : « أنا انما

شرفنا على قومنا بأموالنا وفعالنا ، فاذا ذهبت أموالنا من أيدينا كنا كفيرنا من اليهود في الذلة والاعدام »(٤٢) ، ويوضح هذا النص بشكل صريح ان يهود بني النضير كانوا اغني من بقية يهود المدينة ، وبالتالي فانهم كانوا أغنى أهل المدينة قاطبة الان من المعروف ان الحالة الاقتصادية ليهود المدينة كانت افضل من حالة العرب ـ الاوس والخزرج ـ(٢٥) .

اموال بني النضير وسياسة الرسول ـ ص ـ المالية :

ادت حيازة اليهود للاراضي الخصبة في المدينة الى معيشة الاوس والخزرج حياة اقتصادية صعبة لان حاصلات اراضيهم الزراعية لم تكن تكفي لسد حاجتهم الا بجهد ، وكثيرا ما كانوا يستدينون من اليهود(٢٦) للتغلب على المصاعب الاقتصادية التي تواجههم ، وقد اصبح موقف الانصار الاقتصادي اشد صعوبة بعد نزول المهاجرين عليهم ومقاسمتهم مواردهم المحدودة في المعيشة(٢٧) وتقبل معظم الانصار هذه الحالة عن طيبة خاطر وآثروا المهاجرين على انفسهم رغم حاجتهم ،مما جعل القرآن الكريم يذكر لهم هذا الموقف بالثناء فقال : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون »(٢٨) .

ويظهر ان الموقف الاقتصادي للمهاجرين والانصار قد اخذ يزداد صعوبة مع استمرار سياسة الرسول ـ ص ـ في تشجيع الهجرة الى المدينة واعتبارها شرطا اساسيا من شروط الانتماء الى الامة(٢٩) ، لذا فقد ظهرت بين المهاجرين فئة فقيرة لا تجد لها مسكنا سوى « صفة المسجد » ولا تجد لها مصدرا للرزق سوى الصدقة ، ومن هنا وصف اهل الصفة بأنهم اهل الحاجة(٣٠) ، وقد روي عن أبي هريرة ـ وكان منهم ـ رواية تصف صعوبة الوضع الذي كانوا يعيشون فيه فقال : « لقد رايت سبعين من اهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من هو أسفل من ذلك فاذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته »(٣١)

وتشير آيات القرآن الكريم التي نزلت في الحث على الصدقة ومساعدة الفقراء والمساكين(٣٢) ، اضافة الى الاحاديث النبوية الشريفة(٣٣) ، الى مدى صعوبة الموقف ومدى اهتمام الرسول ـ ص ـ بهذه المشكلة ، لذا كان من الطبيعي ان يجد الرسول ـ ص ـ في استسلام بني النضير له دون قتال فرصة مناسبة لكي يتصرف باموالهم بطريقة مختلفة عن الطريقة المتبعة في توزيع غنائم الحرب على المقاتلين ، وذلك لان هذه الاموال قد تم احرازها من دون جهود قتالية كبيرة « فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب »(٣٤) .

وقد ظن بعض الصحابة ان ما حصل عليه المسلمون من اموال بني النضير هو غنيمة ينبغي ان توزع وفقا للطريقة التي اوضحها القرآن الكـريم بقوله :

« واعلموا ان ما غنتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »(٤٥) لذا فقد روى الواقدي ان عمر بن الخطاب ـ رض ـ قال : يا رسول الله الا تخمس ما اصبت من بني النضير كما خمست ما أصبت من بـدر » (٣٦) .

ويظهر ان المطالبة بتفسيم في بني النضير باعتباره غنيمة لم تصدر عن عمر بن الخطاب وحده ، بل يبدو انها كانت مسألة مطروحة بين عموم المسلمين، فقد اورد القرطبي في تفسيره لسورة الحشر التي بينت كيفية التصـرف في الاموال التي تركها بنو النضير انه « لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كالغنائم »(٣٧) ، غير ان الرسول كان يرى أن هذه الاموال تختلف عن اموال الغنائم لانها في افاءه الله عليه من غير قتال ، لذا لم يجد انه من حق المقاتلين وانما حق من حقوق الامة يتصرف فيه بالنيـابة عنها لمساعدة الفقراء والمحتاجين وتغطية النفقات العامة للدولة ، ومن ثم ، فقد اتجه الى الانصار لاستشارتهم في هـــذه المسألة لانهم كانوا يتحملون العبء الاكبر في مساعدة المهاجرين ، فقد روى الواقدي أن الرسول ـ ص ـ دعـا الاوس والخزرج الى الاجتماع ، فلما حضروا ، تكلم الرسول ـ ص ـ : « فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين ، وانزالهم اياهم في منازلهم ، واثرتهم على انفسهم ، ثم قال : « ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما افاء الله علي من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكن في مساكنكم واموالكم ، وان احببتم اعطيتهم وخـــرجوا من دوركم . فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا : يا رسول الله ، بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الانصار : رضينا وسلمنا يارسول الله . قال رسول الله ـ ص ـ : اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار . فقسم رسول الله ـ ص ـ ما أفاء الله عليه ، واعطى المهاجرين ولم يعط احـدا من الانصار من ذلك الفيء شيئا الا رجلين كانا محتاجين »(٣٨) .

ان النص المتقدم يشير الى ان الرسول ـ ص ـ كان يحـاول معالجة مشكلة الفقر وتحقيق التوازن الاقتصادي بين المهاجرين والانصار ، وذلك لان الرسول ـ ص ـ ربما شعر بثقل العبء الذي تحمله الانصار من اجل مساعدة اخوانهم المهاجرين فقد اورد البلاذري أن بعض الانصار كانوا « أشحاء على من نزل عليهم من المهاجرين »(٣٩) ربما بسبب ضعف مواردهم الاقتصـــادية التي لم تكن تكفي لسد حاجتهم الا بصعوبة(٤٠) .

وقد خير الرسول ــ ص ــ الانصار بين احد حلين :

الاول : ان يوزع اموال بني النضير على المهاجرين والانصار على ان يبقى المهاجرون على وضعهم من حيث الاقامة في منازلهم والعمل معهم في مزاعهم

الثاني : ان يوزع فيء بني النضير على المهاجرين مقابل ان يخرجوا من دور الانصار . وقد اختار الانصار الحل الثاني مع ابداء استعدادهم للاستمرار في استضافة المهاجرين ، لذا فقد شكرهم الرسول ــ ص ــ على موقفهم ودعا لهم ، واتجه الى تنفيذ الاجراء .

كيف وزع الرسول ــ ص ــ فيء بني النضير ؟

لا تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات دقيقة عن الاسلوب الذي اتبعه الرسول ــ ص ــ في كيفية توزيع فيء بني النضير على المهاجرين ، غير ان الجمع بين مختلف النصوص التاريخية والفقهية ودراستها في ضوء الآيات القرآنية التي حددت كيفية التصرف باموال الفيء توصلنا الى النتائج الآتية :

١ ــ أوضح القرآن الكريم بصورة قاطعة ان اموال الفيء هي من حق اصحاب الاخماس دون غيرهم : « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ، فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »(٤١) ، وقد بين القرآن الكريم ان علة هذا الحكم ترجع الى كراهة حصر الاموال بأيدي الاغنياء يتداولونها بينهم من دون الفقراء « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم »(٤٢) ، وقد حذر القرآن الكريم المسلمين من مغبة عدم اطاعة الرسول ــ ص ــ في تنفيذ هذا الامر بقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »(٤٣) .

٢ ــ روى ابن هشام ان الرسول ــ ص ــ قسم اموال بني النضير « على المهاجرين الاولين دون الانصار الا سهل بن حنيف وابا دجانة سماك بن خرشة، ذكرا فقرا فاعطاهما رسول الله ــ ص ــ من فيء بني النضير »(٤٤) ، وقد اشير الى ان المقصود بمصطلح « المهاجرين الاولين » هم الذين هاجروا من مكة الى يثرب وشاركوا في معركة بدر وصلوا الى القبلتين »(٤٥) ، فكم كان عدد هؤلاء الصحابة عند توزيع فيء بني النضير ؟

لا نعثر في المصادر التاريخية على جواب محدد على هذا التساؤل غير ان من الباحثين من اشار الى ان عدد المهاجرين في المدينة لم يكن يتجاوز مائة اسرة(٤٦) ، فهل وزع الرسول ــ ص ــ اموال بني النضير على جميع هؤلاء المهاجرين ي

لقد اوضح القرآن الكريم ان اموال الفيء هي ليست لعموم المهاجرين ،

وانما هي « للفقراء المهاجرين الذن اخرجوا من ديارهم وأموالهم ... » فعلة استحقاق المساهمين في اموال الفيء هي ليست مجرد الهجرة ، وانما هي : « الهجرة والفقر »(٤٧) ومن ثم ، فان لنا ان نستنتج ان الرسول – ص – لم يوزع أموال بني النضير على جميع المهاجرين ، او جميع المهاجرين الاولين ، بل انه وزع جزءا من اموال بني النضير على فقراء المهاجرين الذين كانوا يقيمون في منازل الانصار ويعتمدون على معونتهم .

ويبدو ان الاموال التي قام الرسول – ص – بتوزيعها في هذه المرحلة لم تشكل الا نسبة قليلة من اموال بني النضير التي كانت كافية – كما اوضحنا آنفا – لاعالة حوالي ١٨٠٠ نسمة . فكيف تصرف الرسول – ص – بما تبقى من هذه الاموال ؟..

٣ – اشارت بعض الروايات الى أن الرسول – ص – قد وزع أموال بني النضير ، فأعطى « أكثرها للمهاجرين »(٤٨) ، « ووسع في الناس منها »(٤٩) ، ولم يستبق سوى القليل « الذي يأخذ منه نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقي أسوة المال »(٥٠) .

ان هذه الروايات تدل على ان الرسول – ص – لم يقصر توزيعه لفيء بني النضير على فقراء المهاجرين الذين كانوا يقيمون في منازل الانصار ، بل انه شمل فئات أخرى من فقراء المهاجرين ، وربما كان « أهل الصفة » هم ابرز الفئات التي شملها التوزيع ، لانهم كانوا من فقراء المهاجرين ، وكانت اقامتهم في صفة المسجد حالة مؤقتة لحين ايجاد محلات اقامة وعمل دائمين لهم ، فكان من الطبيعي ان يعمل الرسول – ص – على حل مشاكلهم بواسطة الاموال التي افاءها الله عليهم من بني النضير .

٤ – وقد احتفظ الرسول – ص – بما تبقى من اراضي فيء بني النضير للاستفادة من غلتها لتغطية نفقاته الخاصة ، وسد بعض الاحتياجات العامة(٥١) فكان الرسول – ص – كما يذكر الواقدي « يزرع تحت النخيل زرعا كثيرا ، وكان رسول الله – ص – يدخل له فيها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لازواجه وبني عبدالمطلب ، فما فضل جعله في الكراع والسلاح »(٥٢) .

وهنا ، يجدر بنا ان نلاحظ ، ان حاجة المسلمين الى الخيل والسلاح كبيرة ، لانهم كانوا في حالة حرب مع المشركين وبقية القوى المعادية ، مما كان يتطلب تخصيص مبالغ لا يستهان بها لشرائها وتغطية الاحتياجات التي تفرضها الظروف الاجتماعية والسياسية كمساعدة المحتاجين ، وتألف قلوب بعض زعماء القبائل وغير ذلك من الامور ، لذا فقد استمر المسلمون يعانون من الضائقة

المالية ، ولم تفلح اموال الغنائم والفيء سوى في التخفيف من الضائقة المالية نسبيا ، ومما يؤيد هذا الاستنتاج ما ذكره الديار بكري ان عبدالله بن عمر قال : « ما شبعنا حتى فتحت خيبر »(٥٣) كما ذكر عروة بن الزبير ان المسلمين ظلوا في حاجة فتح مكة عام ٨ للهجرة لان الغنائم التي كانوا يحصلون عليها حتى ذلك الوقت لم تكن كثيرة بحيث تسد احتياجاتهم ، مما حدا بالنبي – ص – الى استعارة اسلحة من صفوان بن امية للاستعانة بها في غزوة حنين »(٥٤) .

ان مما يتعارض مع نتائج هذا البحث ويشكل استثناءا من القاعدة العامة ، ما ذكرته بعض المصادر من ان الرسول – ص – كان قد اقطع بعضا من أراضي بني النضير الى بعض المهاجرين الذين لم يعرف عنهم الفقر ، بل ان بعضهم قد اشتهر بالغني مثل ابي بكر الصديق – اعطي بئر حجر – وعمر بن الخطاب – اعطي بئر جرم – وعبدالرحمن بن عوف – اعطي سوالة – والزبير بن العوام – اعطي البويلة(٥٥) .

فكيف نعلل هذا التصرف في ضوء سياسة الرسول – ص – التي رسم القرآن الكريم اهدافها ؟

ان تفسير هذا التصرف على افتراض صحة الخبر ينبع من حق الرسول – ص – في ادارة الاموال العامة بما يحقق مصلحة الامة العليا ، ويبدو ان الرسول – ص – اقطع بعضا من الاراضي التي احتفظ بها من اموال الفيء لبعض اغنياء الصحابة لقدرتهم على استصلاحها واستثمارها بشكل افضل من غيرهم بسبب توفر الامكانيات المادية لديهم ، وخاصة ان هؤلاء الصحافة كانوا قد كرسوا كل ما لديهم من مال وطاقة لخدمة الدعوة الاسلامية .

كما ان مما يتعارض مع نتائج هذا البحث ما ذكره الماوردى من ان الرسول – ص – قد قسم « ما سوى الارضين »(٥٦) و « حبس الارضين على نفسه ، فكانت من صدقاته يضعها حيث يشاء »(٥٧).

يبدو ان هذا الراي الفقهي الذي ينفي قسمة الرسول – ص – لاراضي بني النضير يستند الى خبر اورده الواقدي مؤداه ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يرى ان اموال بني النضير كانت من جملة « صفايا الرسول – ص – التي اصطفاها لنفسه « فكانت حبسا لنوائبه »(٥٨) .

ان دراسة هذا الراي في ضوء النصوص الصريحة في القرآن الكريم والروايات التاريخية لوقائع التاريخ بقدر ما يستند الى محاولة العثور على دليل لا يستند الى قراءة دقيقة لوقائع التاريخ بقدر ما يستند الى محاولة العثور على دليل من سنة الرسول – ص – لتفسير معالجة الخلفة عمر بن الخطاب – رض – لمشكلة الاراضي المفتوحة في سواد العراق(٥٩) ، وذلك للاسباب الآتية :

١ ـ ان وصف الخليفة عمر بن الخطاب ـ رض ـ لاموال الفيء بأنها «صفي» هو نوع من التفسير لقوله تعالى : « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول »(٦٠) ، ومن ثم فهو لا يتعارض مع الاخبار التي تذكر أن الرسول ـ ص ـ كان قد قسم اغلب هذه الاموال على فقراء المهاجرين واستبقى منها ما يكفي لسد حاجاته والحاجات العامة ، لان القرآن الكريم ـ كما يذكر القرطبي في تفسيره ـ جعل فيء بني النضير للرسول ـ ص ـ لانه « كان لا يتأثل مالا ، وانما كان يأخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين »(٦١) ، وكان من مصالحهم حل مشكلة فقراء المهاجرين بتوزيع الاراضي عليهم .

٢ ـ ان ما ذكره الماوردي من ان الرسول ـ ص ـ قد قسم ما سوى الارضين استنتاج لا يتفق مع الوقائع التاريخية حيث تجمع الروايات التاريخية على ان الرسول ـ ص ـ قد سمح ليهود بني النضير أن يأخذوا معهم كافة الاموال المنقولة ما عدا السلاح « الحلقة » وبالتالي لم يبق من اموالهم ما يصلح للتوزيع سوى الاموال غير المنقولة وتتمثل بأراضيهم ودورهم ، وقد تواترت الاخبار عن توزيع الرسول ـ ص ـ لها كما قدمنا .

نتائج البحث :

ان استعراض كافة الروايات والآراء التي ذكرت حول اجلاء بني النضير توصلنا الى النتائج الآتية :

١ ـ ان استسلام بني النضير للرسول ـ ص ـ من دون قتال ، كان مناسبة ملائمة لتوزيع اموالهم بطريقة مختلفة عن طريقة توزيع الغنائم بين المقاتلين على اعتبار ان هذه الاموال بمثابة فيء افاءه الله على رسوله دون قتال .

٢ ـ اوضح القرآن الكريم ان الاموال التي اخذها الرسول ـ ص ـ من بني النضير من دون قتال هي لله تعالى ، وان الله قد ردها الى رسوله ليقوم بتوزيعها على فقراء المهاجرين كي لا تترك الاموال بأيدي الاغنياء فيتداولونها بينهم من دون الفقراء .

٣ ـ وقد قام الرسول ـ ص ـ بعد أخذ موافقة الانصار ـ بتوزيع معظم اموال بني النضير على فقراء المهاجرين ، واستبقى لنفسه جزءا قليلا منها ، تكفي غلته لسد حاجات بيته وذوي قرباه لمدة سنة ، وما زاد عن ذلك فقد خصصه للنفقات العامة .

٤ – ان تقسيم اموال بني النضير بالطريقة المتقدمة قد ساعد على تحقيق نوع من التوازن الاقتصادي بين المهاجرين والانصار ، ولكنه لم يقض على الفقر بشكل كامل ، وذلك لان واجب الهجرة الى المدينة استمر قائما بالنسبة للمؤمنين حتى تم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة .

المصادر والمراجع :

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، في هامش كتاب الروض الانف للسهيلي ، مصر ١٩١٤ ، ج ٢ ص ١٦ – ١٧ .

(٢) الواقدي ، المغازي « تحقيق مارسدن جونس » بيروت ١٩٦٦ ، ج ١ ص ٣١٧ .

Kister, M. J. Notes on the Paprus tesct about Mahommad's Compaign against the Banu al - Nadir, Archiv Orientalni, London, 1964, Vol. 32, P. 235.

(٤) ألواقدي ، المغازي ج ١ ص ٣٦٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٨ – ٣٦٧ .

(٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٨ .

(٨) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٧٠ .

(٩) ابن هشام ، السيرة ج ٢ ص ١٧٨ ، الواقدي ، المغازي ج ١ ص ٣٦٣ .

(١٠) ابن هشام ، السيرة ج ٢ ص ١٧٨ .

(١١) الواقدي ، المغازي ، ج ١ ص ٣٧٣ .

(١٢) ألطبري ، تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٦٨ ، ج ٢ ص ٥٥٣ .

(١٣) الواقدي ، المغازي ج ١ ص ٣٧٤ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ٦٠ – ١٩٦٨ ، ج ٢ ص ٤٨ .

(١٤) الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٦٨ .

(١٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

(١٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

(١٨) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٧٦ ، راجع ايضا ابن هشام ، السيرة ج٢ ، ص ١٩٢ .

(١٩) ألمصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٧٥ .

(٢٠) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، بيرون ١٩٥٧ ، ج٥ ص ٢٩٠ ، الشريف ، احمد

ابراهيم ، مكة والمدينة في الجـــاهلية وعهد الرسول ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٩٥ .

(٢١) الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٥٨ .

(٢٢) ابن هشـام ، السـيرة النبوية ، ج٢ ، ص ١٧٨ .

(٢٣) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص ٣٧٨ ، الشريف ، مكة والمدينة ص ٣٥٨ .

(٢٤) المصـدر نفسه ج١ ، ص ٣٦٩ .

(٢٥) الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٦٠ .

(٢٦) المرجع نفسه ، ص ٣٦٠ .

(٢٧) المرجع نفســه ، ص ٣٦٠ .

(٢٨) ســورة الحشــــر ٩ .

(٢٩) سورة الانفــــال ٧٢ ــ ٧٥ .

(٣٠) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ج٢ ، ص ٢٣٥ ــ ٢٦٤ .

(٣١) ابن حنبل ، كتاب الزهد ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٧ .
ابن النجار ، الدرة الثمينة ، مكة ١٩٦٦ ، ٧١ ــ ٧٢ .

(٣٢) سورة البقرة : ٨٣ ، ١٧٧ ، ٢٦١ ــ ٢٦٣ .

(٣٣) الشيباني ، ابن الديبع ، تيسـير الوصـول الى جامع الاصول من حديث الرسول ، مصر ١٩٣٤ « كتاب الصدقة والنفقة » ص ٢ ــ ٩ .

(٣٤) ســورة الحشـــــر : ٦ .

(٣٥) القرطبي ، محمد بن احمد الانصاري ، الجامع لاحكام القرآن ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ١٨ ، ص ١٠ ــ ١١ .

(٣٦) الواقدي ، المغازي ج١ ، ص ٣٧٧ .

(٣٨) الواقدي ، المغازي ج١ ٣٧٩ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٣٣ ــ ٣٤ ، وقد اورد البلاذري أن الرسول ــ ص ــ أشار في مطلع حديثه الى الانصار بانه : « ليست لاخوانكم المهاجرين اموال » .

(٣٩) الابلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيــق محمد حميد الله ، القاهرة ج١ ، ص ٢٧٠ .

(٤٠) الشريف ، مكة والمدينة ص ٣٦٠ .

(٤١) سورة الحشــــــر ، ٧ .

(٤٢) سورة الحشــــــر ، ٧ .

(٤٣) سورة الحشــــــر ، ٧ .

(٤٤) ابن هشام السيرة ، ج٢ ، ص ١٧٨ ، راجع ايضا : الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٥٥٥ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ ، ج٢ ، ص ١٧٤ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ج٢ ، ص ١٤٨ .

(٤٥) ابن شبة ، عمر بن شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، جدة ١٣٩٣ هـ ، ج٢ ، ص ٤٩١
(٤٦) يراجع على سبيل المثال :
الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ .
(٤٧) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج١٨ ، ص ١٦ – ١٩ (تفسير سورة الحشر : ٨).
(٤٨) ابن رجب ، الاستخراج لاحكام الخراج بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٨ – ١٩ .
(٤٩) ابن سعد ، الطبقـــات ، ج٢ ، ص ٤١ – ٤٢ .
(٥٠) المنذري ، مختصر صحيح مسلم ، تحقيـــق : محمد ناصر الالباني ، الكويت ، ج٢ ، ص ٦٥ .
(٥١) الدوري ، د. عبد العزيز ، في التنظيم الاقتصادي في صدر الاسلام ، مجلة العلوم الاجتماعيـــة ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٧٦ .
(٥٢) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص ٣٧٨ .
(٥٣) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، بيروت ، ج٢ ، ص ٥٦ .
(٥٤) ابن الزبير ، عروة ، مغازي رسول الله ، جمع وتحقيق : د. محمد مصطفى الاعظمي ، الرياض ١٩٨١ ، ص ٢١٣ .
(٥٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٩ .
(٥٧) المصدر نفسه ص ١٦٩ .
(٥٨) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٣ .
(٥٩) ابن سلام ، ابو عبيد القاسم ، الاموال ، القاهرة ١٣٥٣ ، ٦١ .
(٦٠) سورة الحشر : ٧ .
(٦١) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج١٨ ، ص ١٣ .
(٥٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج٢ ، ص ٤١ ٤٢ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٩ – ١٧٨٠ .
(٥٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٩ .
(٥٧) المصدر نفسه ص ١٦٩ .
(٥٨) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٣ .
(٥٩) ابن سلام ، ابو عبيد القـــاسم ، الاموال ، القاهرة ١٣٥٣ ، ص ٦١ .
(٦٠) سورة الحشـــــــر : ٧ .
(٦١) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج١٨ ، ص ١٣ .

نشــأة الرباط العســكري
نموذجــان من عهــد الاغالبة

الدكتــور

طاهر مظفر العميد

استاذ في كلية الاداب ــ جامعة بغداد

الرباط من الناحية اللغوية معناه الاقامة على جهاد العدو بالحرب ، وارتباط الخيل واعدادها . والظاهر من اقوال اللغويين العــرب وما وصفوه في معاجمهم بان كلمة « رباط » يطلق على مرابط الخيل (١) . قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٢) .

والرباط مصدر رابطت ، بمعنى لازمت ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » (٣) .

أما معنى « الرباط » من الناحية الاصطلاحية ، هي المدن او البناء المحصن الذي يرابط فيه العربي المسلم للدفاع عن الارض والوطــن والعقيــدة في الارض العربية الاسلامية ، احتسابا لوجه الله تعالى دون طمع في مال او مغنم او جاه ، لذلك فالمرابط يكسب رزقه ورزق عياله بما يقوم به من اعمـــال زراعية او مهنية اخرى .

وقد وردت احاديث نبوية كريمة تحث على المرابطة ، منها قوله عليــه الصلاة والســلام : « رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطــا ــ مات مجاهداً واجري عليه رزقا من الجنة » (٤) .

وللرباط مدلولان : مدلول ديني ومدلول عسكري ، ويهمنا في هذا البحث المدلول العســكري له .

نشأة الرباط العسكري :

لابد أن يكون نشأة الرباط العسكري ، قد اقترن بحركة التحرير والفتوحات ابتداءً منذ صدر الاسلام ، وان كانت النصوص التاريخية لا تشير الى ذلك ، الا ان الباحث يدرك ، بأن الجيوش العربية الاسلامية ، بعد الانجاز الكبير الذي حققته في معارك العراق والشام ومصر ، ضد الفرس والبيزنطيين ، كانت بحاجة الى حماية نفسها من خطر الاعداء ، باتخاذ معسكرات متقدمة يرابط فيها الجند لمراقبة تحركات الاعداء ، وعلى الاغلب كانت هذه المعسكرات تأخذ شكل تحصينات بسيطة من مجموعة من الخيام. ، او بعض المباني والمسالح التي حررها العرب او فتحوها . وتقع الاربطة في الاغلب على السواحل البحرية ، وهي بذلك خلاف الثغور التي تقع في التخوم البرية .

ويبدو ان اول اشارة وردت في المؤلفات العربية عن اتخاذ العرب للربط هي من عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) . منها بناء هرثمة بن اعين قائد جيش الخليفة هارون رباط المنستير وربط اخرى في ارمينية (٥) .

ويشير المؤرخون والجغرافيون العرب الى عدد كبير من الربط العسكرية التي أقيمت في انحاء مختلفة من الاراضي العربية والاسلامية لتؤدي وظيفة الدفاع عن حدود الدولة العربية الاسلامية وسواحلها . منها ما كان على امتداد شواطيء البحر الابيض المتوسط ، وفي بلاد ما وراء النهر .

فقد كانت الربط العسكرية تنتشر على جميع الشواطيء الجنوبية والشرقية للبحر الابيض المتوسط ، فمن الزاوية الشمالية الشرقية من هذا البحر ، حيث الاسكندرونة حتى مدينة الصويرة (التي تسمى اليوم) موغادور، على شاطيء بحر الظلمات (الاطلسي اليوم) انشأ العرب الف مدينة مما كان يسمى « الرباط » ، وذلك بمعدل رباط واحد كل ستة كيلو مترات (٦) . وماتزال بعض هذه المدن تحمل اسم « الرباط » حتى اليوم ، ومنها « الرباط » عاصمة المملكة المغربية (٧) .

ومن هذه الربط ما ذكره المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وسماها بالاربعة الشامية (٨) ، ومنها ما ذكره ابن رسته في كتابه الاعلاق النفسية عن الربط المصرية القائمة على سواحل البحر الابيض المتوسط والتي سماها بـ « المحارس » (٩) ومنها ما اشار به ابن زولاق (١٠) .

والملاحظ ان الربط المصرية أقيمت على سواحل البحر المتوسط ، ولا شك فان مهمتها كانت لفرض مراقبة السواحل المصرية الشمالية التي تتعرض لغارات البيزنطيين البحرية . كما نلاحظ ان عددا من الربط المصرية انشأ في جنوب البلاد لمواجهة البربر والسودان .

أما الربط في بلاد ما وراء النهر (اسيا الوسطى بالاتحاد السوفيتي اليوم). فقد كان المسلمون يتنافسون في بنائها ويخصصون لها النفقات السخية حتى تفي بحاجة المرابطين . وفي هذا يقول الاصطخري في كتابه « مسالك الممالك »:
« ... وترى الغالب على أهل الاموال بما وراء النهر ، صرف نفقاتهم على الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير ، الا القليل منهم ، وليس من بلد ولا نهل ولا مغازة مطروقة ولا قرية آهلة الا بها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه ، وبلغني ان بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط في كثير منها اذا نزل النازل اليهم علف دابته ، وطعام نفسه ان احتاج الى ذلك .. » (١١) .

واشار الاصطخري ان الاربطة فيما وراء النهر اثناء حديثه عن مدينة بيكند فقال : « ان بها من الرباطات مالا اعلم من بلدان ما وراء النهر اكثر عددا منها ، وبلغني ان عددها نحو من الف رباط .. » (١٢) .

وعن الاربطة فيما وراء النهر تحدث المقدسي أنه كان بمدينة «اسفينجاب» وهي ثغر ودار جهاد ـ الف وسبعمائة رباط يجد فيها اصحاب الحاجة طعاما لهم وعلفا لدوابهم » (١٣) .

بناء الاغالبة للاربطـــة :

اهتم الاغالبة بتحصين مدن افريقية ، فيذكر ابن خلدون ان ابو ابراهيم احمد بنى بافريقية « نحوا من عشرة الاف حصن بالحجارة والكلس وابـــواب الحديد » (١٤) . ويشير الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، بان هذه الروايـة تتضمن مبالغـة واضحة ، وعلى اي حال ، يكشف لنـا اهتماما هذا الامير بتحصين البلاد ، وقد يكون المقصـود ببناء هذه الحصون ترميم سلسلة التحصينـات التي كان قد اقامها البيزنطيون على عجلة ، على تخوم الصحراء ابتداء من طرابلس شرقا حتى نوميديا غربا (١٥) . وكانت هذه التحصينات تشتمل على قلاع وابراج تكاد تكون متصلة ، ومن هذه القـــلاع ، قلعــة جلولاء الواقعة على بعد نحو (٣٠ كم) الى الشمال الغربي من القيروان ، وقلعة « القصرين » التي لعبت دورا هاما على الحدود الغربية لدولة الاغالبة (١٦) ، وقلعة « بلزمة » التي افتتحها ابو عبد الله وخربها . وقد ذكر البكري انهـا قصر قديم البناء ، ومنها قلعة « باغاية » التي ضلت قائمة حتى هدمها ابو عبد الله . ومن قلاع افريقية في عصر الاغالبة « قلعة طبنة التي بناها احـد الولاة العرب (١٧) . وقصبة « قعرة » التي شاهد اليعقوبي حصونها الكثير (١٨).

وكانت معظم بلاد قسطيلية محصنة بالقـلاع الحصينة والمنيعة ، واعظم امراء الاغالبة الذين اهتمـوا بالابنية العسكرية الامير ابراهيم بن احمد الذي بنى الحصون والمحارس على سواحل البحر . حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدو ، فيتصل ايقادها بالاسكندرية في الليلة الواحدة . ولعـل المقصود بالمحارس الاربطة .

وقد اشار اليعقوبي انه من « اسفاقس » الى « بنزرت » ثمانية ايام ، وفي جميع المراحل حصون متقاربة ينزلها العباد والمرابطون (١٩) .

والى ابي ابراهيم احمد ن محمد بن الاغلب ينسب بناء اسوار سوسة(١٠)، وان كان ابن الاثير وابن خلدون ينسبانها خطئا الى ابراهيم بن احمد (٢١) . لان سور مدينة سوسة يحمل تاريخ الانشاء سنة ٢٤٥ هجرية ، وهو يتفق مع عصر ابي ابراهيم احمد بن محمد (٢٢) .

واهم الربط العسكرية من عصر الاغالبة والتي لا تزال قائمة حتى اليوم هي :

١ ــ رباط سوسة .

٢ ــ رباط المنستير .

١ ــ رباط سوسة :

يعد رباط سوسة احد الاربطة والمحارس التي اقامها الاغالبة على الساحل ، ويقع هذا الرباط على خليج قابس ، ويعرف محليا باسم « قصر الرباط » (شكل ــ ١) .

وكان في مقدمة العوامل التي دفعت الاغالبة الى اختيار هذا المكان الذي انشأ عليه الرباط ، هو حصانة الموقع واهميته الستراتيجية ، حيث تقع سوسة على سفح هضبة صخرية مما يجعلها تتمتع بمكان حصين يمتد من اقصى جنوب الخليج الذي يبتدأ من منطقة الحمامات شمالا وينتهي جنوبا باللسان البارز داخل البحر (٢٣) .

اما تاريخ بناء هذا الرباط ، فعلى الرغم من وجود كتابة تاريخية مسجلة على لوح رخامي في الرباط الى ان باني الرباط هو زيادة الله في عام ٢٠٦ هـ (٨٢١م) ونصها : « بركة من الله ، مما امر به الامير زيادة الله ، اطال الله بقاءه على يد مسرور سنة ست ومائتين ، اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين » (٢٤) . الا انه ليس هناك اتفاق بين الباحثين فيما يخص تحديد تاريخ بناء الرباط (٢٥) .

تخطيط الرباط :

رباط سوسة بناء حصين مربع الشكل ، يبلغ طول ضلعه (٣٩م) (شكل ــ ٢) . يدعم جدرانه ثمانية ابراج ، اربعة منها في منتصف كل ضلع من اضلاعه ، والاربعة الاخرى في زواياه الاربعة . وقطاع ستة من هذه الابراج ثلاثة ارباع الدائرة ، والبرجان الاخران فانهما قائما الزاوية ، وهما برج المدخل، والبرج الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية (٢٦) .

وقد وصف البكري الرباط فقال عنه : « وداخل مدينة سوسة محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن بمحرس الرباط » (٢٧) . ووصفه التيجاني بقوله : « بانه كان قصر قديم سام للسماء ينسب بناءه الى ابن الاغلب »(٢٨) . وهو يتألف من طابقين . ونبدأ بالطابق الارضي (الاول) الذي يقع منه مدخل الرباط .

مدخل الرباط :

يقع مدخل الرباط في الضلع الجنوبي ، وهو المدخل الوحيد له ، ويأخذ هذا المدخل شكل برج بارز عن وجه السور بنحو (١٧ر٣م) . وقد اضيفت له زيادة بنائية يبلغ امتدادها (٧٠ر٣م) في عام ١٢٦٤هـ / ١٩٤٨م . ويقدم لنا « كريزويل » تفسيرا لهذه الزيادة بانها ترجع الى ارتفاع مستوى الشارع عن ارضية الرباط نحو (٨٠ر٢م) . وكان لمدخل الرباط في الاصل (٧) درجات ، فاضيفت اليه (٧) درجات اخرى فاصبح السلم الذي يؤدي اليه يتألف من (١٤) درجة (٢٩) .

ويحمى مدخل الرباط بواسطة برجي الزاويتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ، كما أن يدخل الرباط مزود بسقاطة ، والتي تعد عنصرا دفاعيا ، وتقع تحت القبة التي تتوج المدخل ، والسقاطة هنا على هيئة ثلاثة شقوق طولية تستند على اربعة عقود .

ونظرا لاهمية السقاطة في المنشآت المعمارية العسكرية آثرت ان اقف عندها متتبعا اصولها المعمارية واهميتها الدفاعية ، والسقاطة عبارة عن دعائم يتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة ، وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور يمكن ان تصوب السهام فيه الى رؤوس المحاصرين الذين يحاولون احداث ثغرة في السور او الجدار ، كما يمكن ايضا ان يصب على رؤوسهم الزيت او الماء المغلي او غيرها من المواد المؤذية . وتدعى السقاطة لدى عض الباحثين بالمشربية .

وقد حلت هذه المشربية في العمارة محل الابنية الخشبية (٣٠) ، ويبدو انها اصبحت واسعة الانتشار في الغرب منذ نهاية القرن السادس عشر كما اشار « بريس وافزن » (٣١) . وقد قلدها الانكليز في القضبان والسياجات المعدنية .

وقد درس « كريزويل » الاصل المعماري لعشرة أمثلة من السقاطات الموجودة في سوريا (٣٢) ، واشار الى أن من بين هذه النماذج العشرة ستة او سبعة لم تكن في الحقيقة الا مرافق حجرية من نوع كان منتشرا حتى العصور الحديثة ، ولايزال هناك مثال واحد من هذا النوع على الرصيف الخشبي الداخل في البحر بمدينة « جوري » من اعمال « جرسي » ، أما الامثلة

الثلاثة الباقية التي يحتمل ان تكون قد استخدمت لالقاء السهام وغيرها ، فاقدمها عهدا يرجع تاريخه الى منتصف القرن السادس الميلادي أي قبل قيام الاسلام (٣٣) . و

وبعد هذا التاريخ الذي ذكر فيه « كريزويل » هذه الامثلة ظهـــر نموذج عربي اسلامي لظاهرة السقاطة في قصر الحير على مقربة من الرصافة في سورية يرجع تاريخه الى عام ١١٠هـ / ٧٢٩م ، وينســـب الى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (٣٤) (شكل ــ ٣) . وهناك احتمال كبير بان ذلك العنصر كان موجودا ايضا في قصر الاخيضر بالعراق (٣٥) ، كما ان هناك نموذجا من هذه الظاهرة المعمارية نلاحظها فوق باب النصر في بوابات القاهرة الذي يرجع الى عام ١٠٨٧ م . ومن المؤكد ان هاتين السقاطتين المعماريتين كانتا ضربا من الاستكامات العسكرية المعـــدة للدفاع عن سور المدينة ، وهما اقدم بنحو مائة عام من اقدم نموذج عرف في اوربا ، ومن امثلة هذه الظاهرة المعمـــارية التي ظهرت في اوربا في شاتو جايار (ترجع الى عام ١١٨٤م) ، وشايتون (ترجع الى عام ١١٨٦م) ، ونورويتس (ترجع الى سنة ١١٨٧ م) ، ووينشستر (ترجع الى سنة ١١٩٣ م) (٣٦) .

وهكذا يظهر ان الصليبين استعاروا فكرة هذه الظاهرة المعمارية العسكرية من العرب ، وان العكس لا يمكن ان يكون صحيحـــا (٣٧) .

ونعود الى مدخل الرباط فنشاهد عتب تعلو هذا المدخل فوقها عقــد نصف مستدير ، ولا يقع المدخل في منتصف الضلع الجنوبي بصورة مضبوطة ، فهو اقرب الى الزاوية الجنوبية الشرقيـــة منه الى الجهة الغربية ، وذلك بسبب عدم وجود عدد متساوٍ من الغرف على جانبي المدخل . وهذا المدخل مستقيم يفتح على دهليز سقفه مقسم الى ثلاثة مناطق ، وقد توج المدخل بقبة اقيمت فوق غرفة مربعة الشكل لها ثلاثة مداخل تقع في الجهات الشمالية والشرقية والغربية ، لتسهيل الحركة في الطابق العلوي أثناء الدفاع ، وخاصة في حالة القاء الاحجار والسوائل المنصهرة على المهاجمين (٣٨) .

وبعد اجتياز مدخل الرباط ، يفضي الداخل الى الفنـــاء ، وابعاده تقريبا (١٩ر٢١) م من الشمال الى الجنوب ، ونحو (٢٠ر٤١) م من الشرق الى الغـــرب (٣٩) ، وتطل على الفناء من جهاته الشمالية والغربية والشرقيـــة اروقة معقودة ، كما ان واجهاتها المطلة على الفناء ذات عقود تنهض فـــوق دعامات (٤٠) ، وخلف هذه الاروقة التي تطل على اجناده الثلاثة (٢٦) قاعة مقباة ليست لها منافذ ، ولكل غرفة (قاعة) باب يوصلها بجزء من الرواق(٤١) .

الطـــابق العلوي :

يرقى للطابق العلوي (الثاني) في هذا الرباط ، بواسطة سلمين يقعان على امتداد الضلع الجنوبي ، وهذا الطابق يشبه في تخطيطه للطابق الارضي (الاول) ، ولا يغايره الا في الاورقة المطلة على الفناء ، اذ استيعض عنها في الطابق العلوي بممشى ارتفاعه (٣٠ر٥م) تفضي اليه الغرف (٤٢) (شكل ـ ٤).

مسجد الرباط :

يشغل القسم الجنوبي من الطابق العلوي مسجد صغير طوله من الداخل (٣٩) مترا ، وعرضه (٧) امتار ، يتألف هذا المسجد من (١١) **بلاطة عمودية** على جدار القبلة تمتد على اسكوبين . ونلاحظ ان البلاطتين المتطرفتين اكثر اتساعا من بقية البلاطات . ويتوسط المحراب جدار السور الجنوبي للرباط ، ويرتفع امام المحـــراب قبة ، تبدو من الخارج بارزة (٤٣) . وللمسجد خمسة أبواب مفتوحة في الجدار المواجه لجدار القبلة : اثنان عن يمين الحصن المواجه للمحـــــراب ، وثلاثة عن يساره ، ولم يفتح في هذا الجدار باب يواجـــه المحـــراب (٤٤) .

المنـــــار :

يقع منار هذا الرباط في الركن الجنوبي الشرقي فوق قاعدة تعلو السطح بمقدار (٧٥ سم) . ويتألف من قسمين ، سفلي ويؤلف قاعدة المنـــار وهو على هيئة مربع ، والقسم العلوي يمثل البرج الاسطواني ، وينتهي المنـــــار ببرج صغير مربع الشكل ذو نهاية مخروطية (٤٥) .

رباط المنســـتير :

شيد هذا الرباط القائد هرثمة بن أعين في عام ١٨٠هـ (٤٦) . وكان قد ولاه الخليفة العبـــاسي هارون الرشيد على افريقية ، ولاشك أن بناء هـــذا الرباط كان جزءً من خطة الدفاع عن حدود الدولة العباسية ، بانشاء العديد من الربط والثغور التي بدأها الخليفة ابو جعفر المنصـــور ، واستمر حتى عهد الخليفة هارون الرشيد الذي أمر هرثمة بن أعين بتحصين سواحل افريقية وشحنها بالمقاتلة لمواجهة العـدوان البيزنطي الذي نشط ابان العصر العبـــاسي (٤٧) .

اقيم الرباط بين المهدية وسوسة الى الجنـــوب الغربي من سوسة ، على بعد (١٥٩) كم من ساحل البحـر الابيض المتوسط ، ويذكر مارسيه انه اقيم على انقاض مدينة رومانية قديمة تدعى « روزبينا » (٤٨) . وقد اثبت

ليزن أن اسوار الرباط الخارجية قائمة على ارض بكر (٤٩) . ويختلف الباحثون في اصل تسمية الرباط ب « المنستير » (٥٠) .

تشير بعض النصوص التاريخية والجغرافيـة بان رباط المنستير يتألف من ثلاثة قصور هي : قصر « هرثمة بن أعين » وقصر « دويد » وقصـر « السيدة » ، بينما تشير نصوص اخرى بانه يتألف من خمسة قصور ، يضيفون قصر « ابن الجعد » وقصر « شفانص » (٥١) .

وقد ورد وصف الرباط في كتابي البكري والهروي ، فقال البكري عنه : « بالمنستير البيوت والحجر والطواحين ... ومواجل الماء ، وهو حصن عالي البناء ، متقن العمل ، وفي الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل ، وفيه جمـاعة من المرابطين قد حبسـوا انفسهم فيه منفردين دون الاهل . وهو حصن عال داخله ربض واسع ، وفي وسط الربض حصن ثـان كبير المساكن والمسـاجد ، طبقات بعضها فوق بعض ، وفي القبلة صحن فسيح فيه قباب عاليـة متقنة ينزل حولها النسـاء المرابطات ، وبها جامع متقن البناء آزاج معقود كلها واقباء لا خشب بها ، وفيها حمامات كثيرة . » (٥٢) .

أما الهروي فيقول عنه : « بأنه كان يشمل ثلاثة قصور شامخـة ذات طبقات تشكل مئات من البيوت على غاية الاحكام ، وفي وسطها مخازن الطعام ، ومواجل الماء ، ومستودعات الات الحرب ، ومرابط الخيل ، وحولها القـلاع الحصينة المنيعة يحيط بها اسوار شامخة » (٥٣) .

تخطيط الرباط :

ابعاد الرباط (٣٢٫٨٠ × ٣٢٫٤٠ م) فهو على شكل مربع تقريبا ، سمك جدرانه الخارجية (١٫٢٥م) ، له اربعة ابراج ركنية في زواياه الاربعة ، ثلاثة منها قطاعها الافقي ثلاثة ارباع الدائرة ، أما البرج الرابع فقاعدته مربع تقريبا يرتكز عليه المنـار . ولم يتبق من هذه الابراج في الوقت الحاضر سوى البرج الجنوبي الذي يبلغ قطره عند القاعدة (٤٫٨٠م) ، وعند الطرف العلوي (٤٫٥٥م) (٥٤) . وتعتبر ابراج هذا الرباط من اقدم النماذج للابراج العربية الاسلامية من نوعها في افريقيـة .

يظهر من الوصف الذي قدمه كل من البكري والهروي ، بأن الرباط كان حصنا شامخا منيعا ، ازداد اقبال الناس عليـه بمرور الزمن وبنوا بيوتهم حوله ، كما أدى الى توسيعه ، فأنشأت فيه عدة زيادات واضافات وتجديدات ،

واصبح بمرور الزمن مدينة مسورة في اوائل القرن السابع . ومن الجدير بالاشارة هنا اننا لا نعرف على وجه الدقة هذه الزيادات ومداها (٥٥) . ومع ذلك فان الدراسات التي قام بها كل من « مارسيه » و « ليزن » مكنتهما من معرفة عناصره الاساسية ووضع مخطط له (٥٦) (شكل ـ ٥) .

ويشير « ليزن » بانه كشف فوق الدهليز ما يشبه السقاطة ، اذ عثر في ارضية المحراب في الجزء الذي يقع فوق المدخل مباشرة ثقب نافذ اليه، سد في عصر متأخر . ويرى « ليزن » انه ربما كان يستخدم ايضا كوسيلة للاتصال بين الذين يقفون وراء الباب وبين اولئك الذين في المسجد يراقبون من في الخارج من خلال المزاغل الواقعة في الجدار القبلي (٥٧) . وكان يقع في الجهة اليسرى من القسم الجنوبي للرباط سلم يؤدي الى الطابق العلوي (الثاني) .

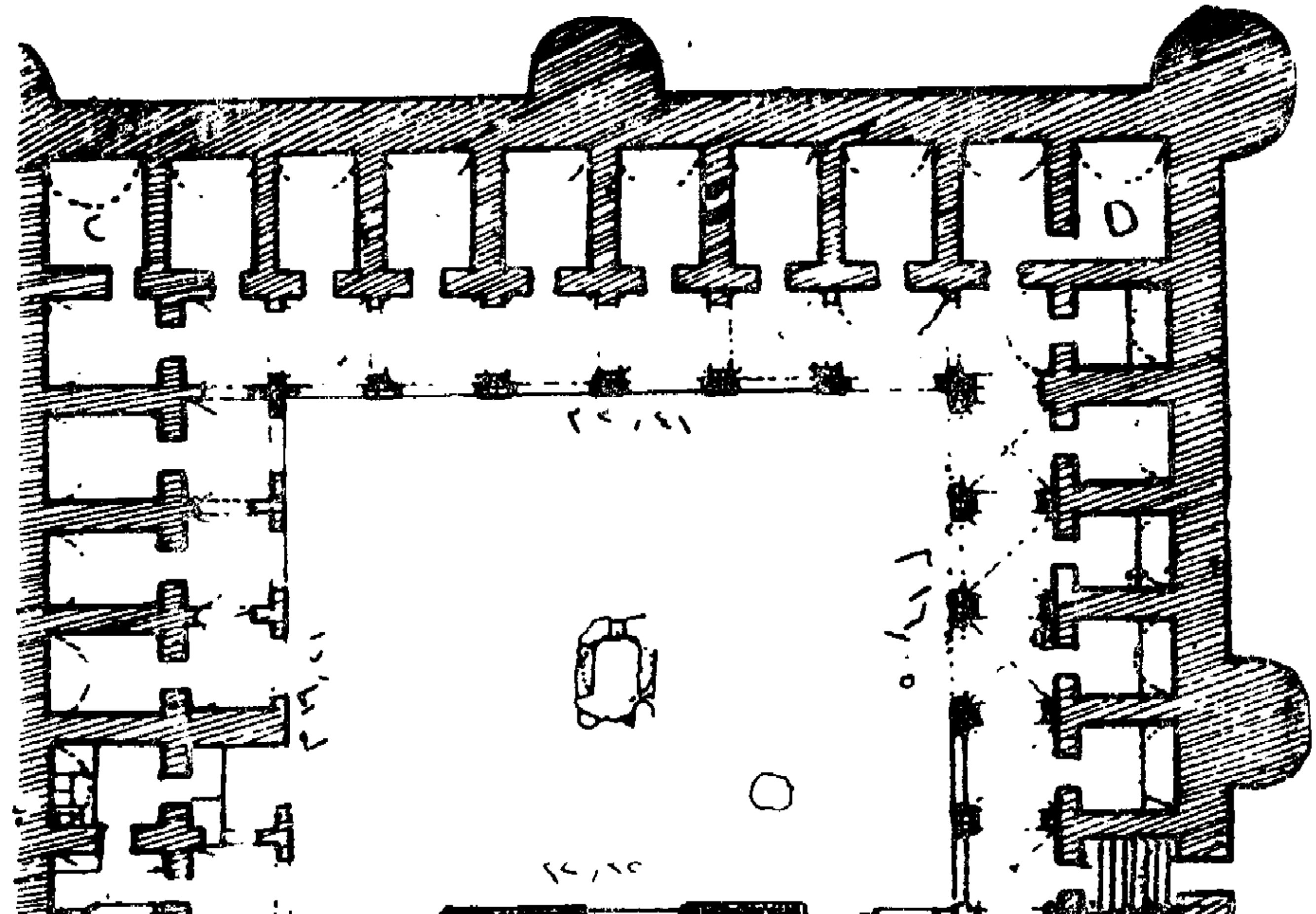
الطابق العلوي :

يتألف هذا الطابق من مسجد يقع في الجانب الجنوبي الشرقي . ومن ثلاث صفوف من الخلوات تقع في الجوانب الثلاثة الاخرى الباقية يتقدم كل منها ممشى (٥٨) . (شكل ـ ٦) .

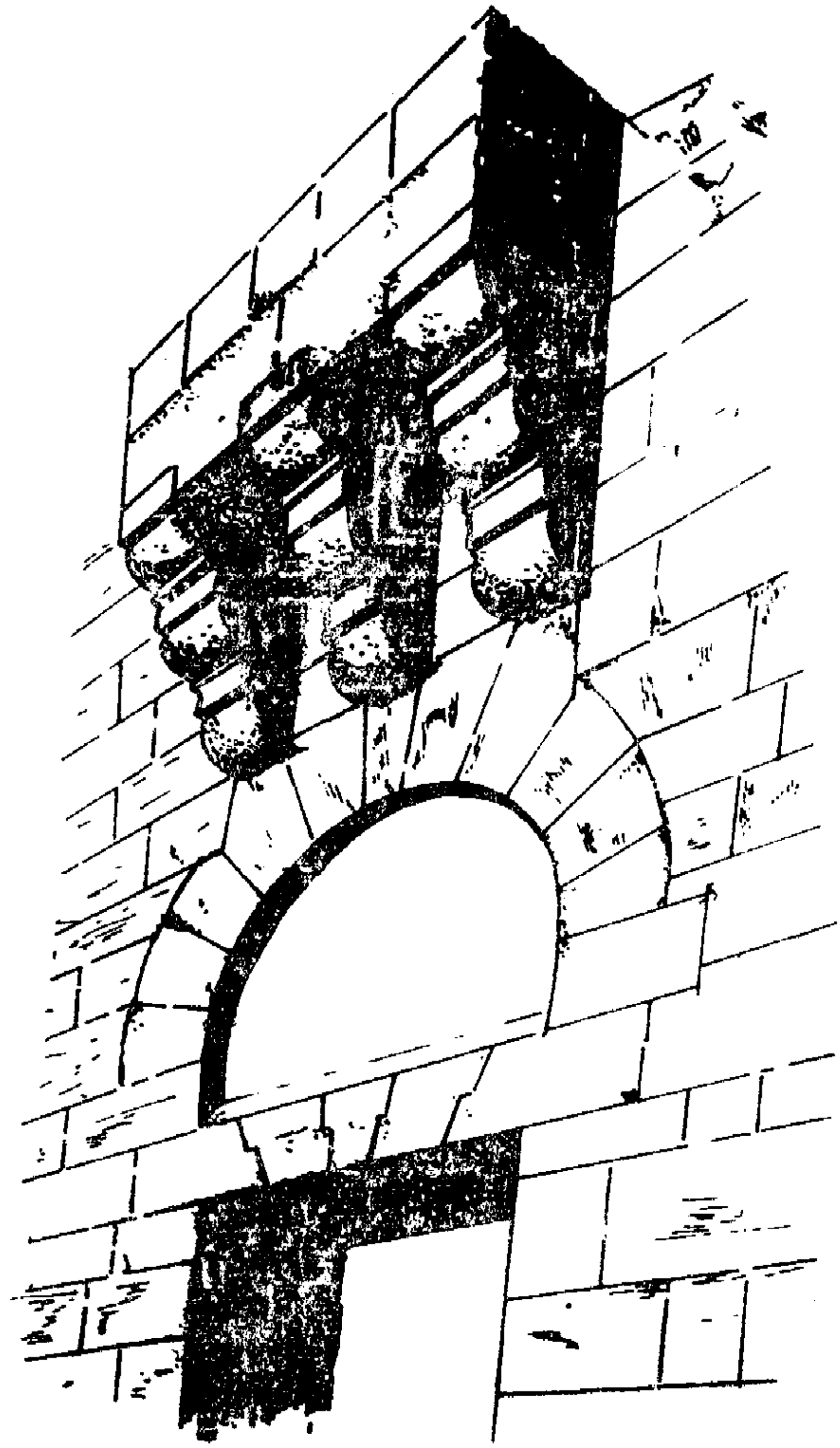
منار الرباط :

يقوم المنار فوق البرج المربع في الزاوية الجنوبية الشرقية من رباط المنستير ، وذلك ابتداء من مستوى سطح الرباط ، وهو منار اسطواني الشكل، يتناقص قطره كلما ارتفع الى الاعلى ، اذ يكون قطره عند القاعدة (١٦ر٣٥م)، وينتهي عند الشرفات الى (٤ر٥٨م) ، وارتفاعه (١٦ر٣٥م) عدا القاعدة المربعة .

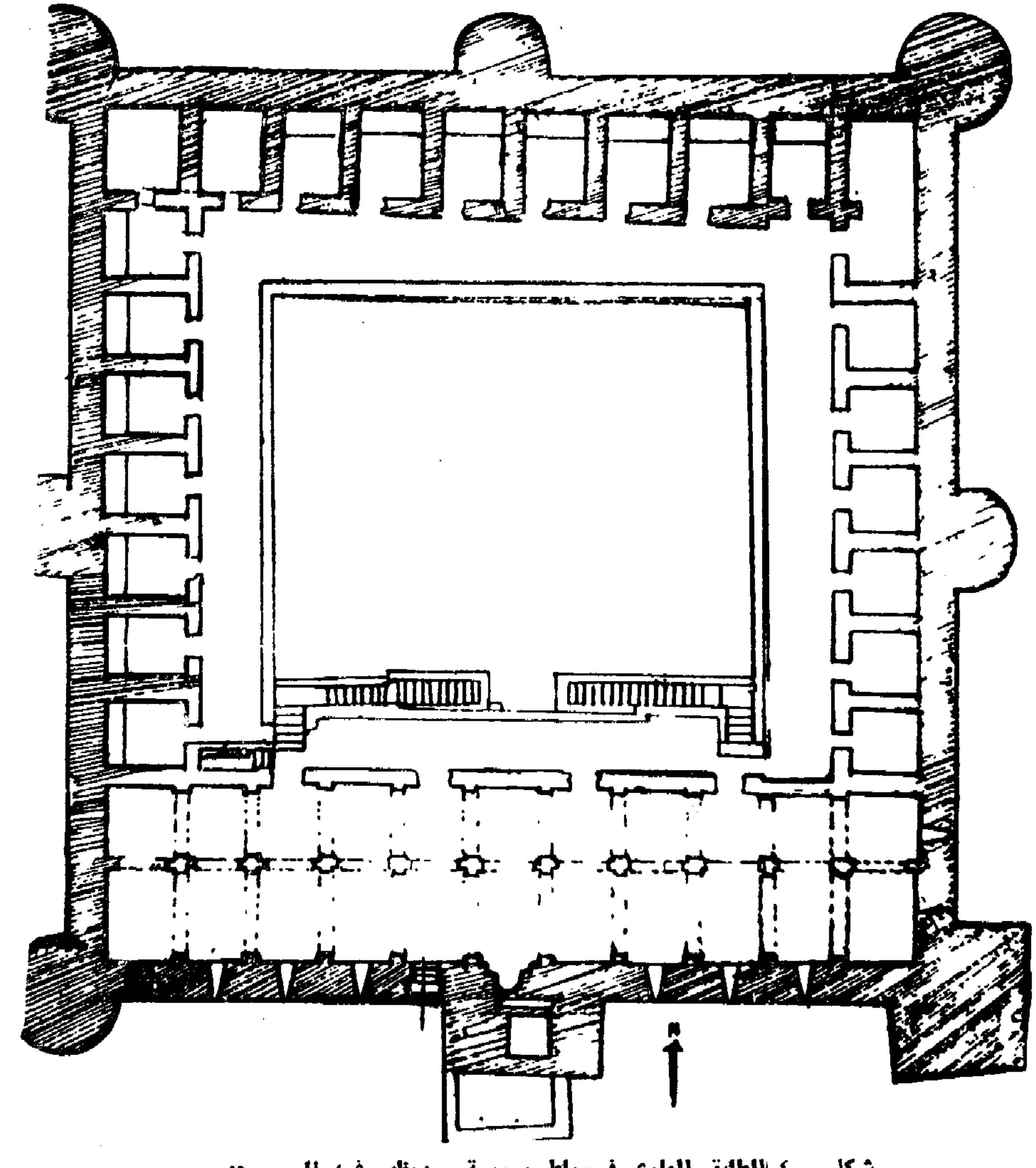
وقد قسم سطحه الخارجي الى ثلاثة أقسام بواسطة أفاريز بارزة بروزا بسيطا ، ويصعد الى المنار من موخل يفتح على المسجد ، ويؤدي الى سلم دائري يشتمل على (٨٩) مرقاة ، وتتسرب اليه الاضاءة من كوى صغيرة موزعة على ارتفاعات متباعدة . وهذا الطراز الدائري الذي ابتدأ من قصر هرثمة قد اختصت به الاربطة (٥٩) . في حين استمر استخدام المنارة المربعة الشكل في المغرب وافريقية والاندلس ، واصبحت من خصائص العمارة العربية الاسلامية في هذا الجزء فن العالم العربي .



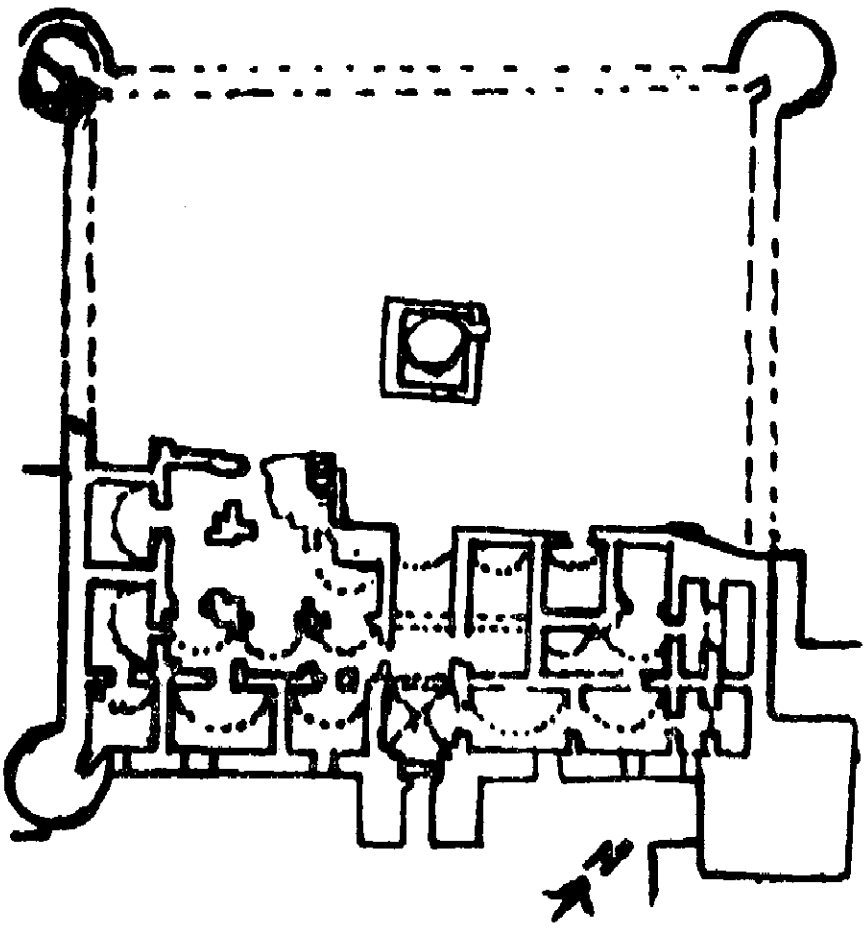
شكل ـ ٢ المخطط الارضي لرباط سوسة في تونس (عن ليـزن)
من رسالة خالد سعيد



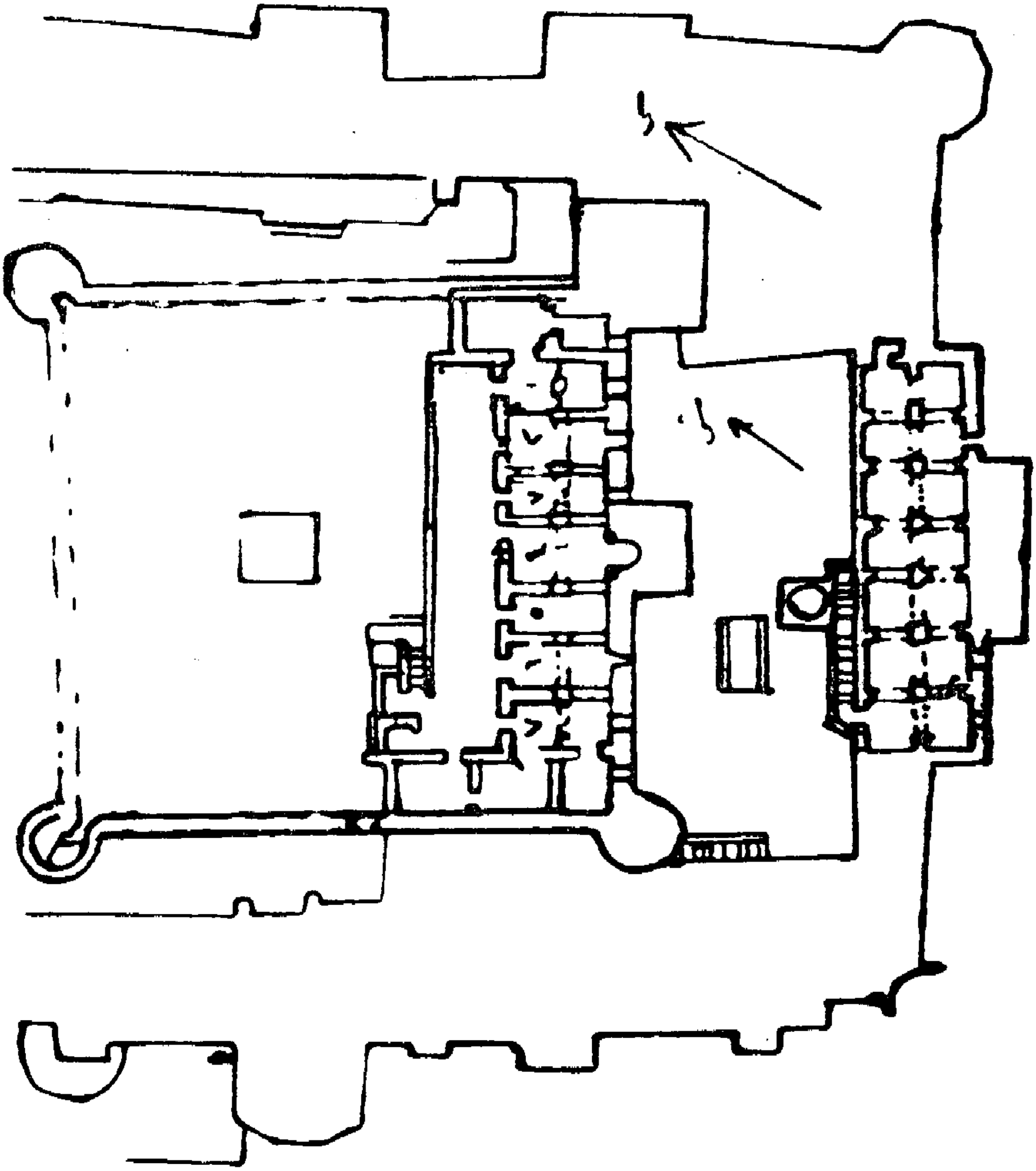
شكل ـ ٣ سقاطة قصر الحير الشرقي (عن فريد شافعي)



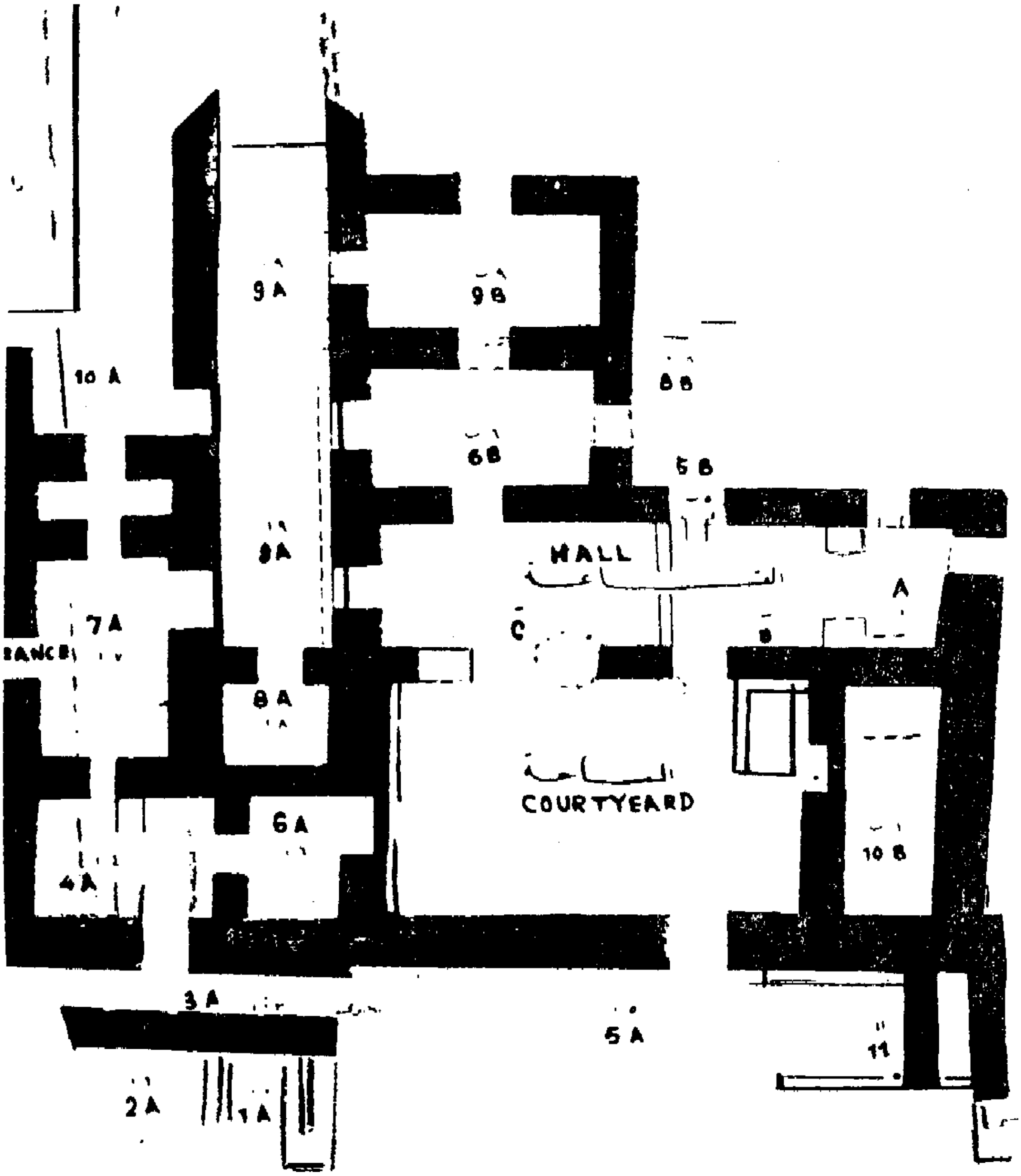
شكل ــ ٤ الطابق العلوي في رباط سوسة . ويظهر فيه المســـجد في الضلع الجنوبي ، والغرف في الجوانب الثلاثة الاخرى عن (ليزن)



شكل ـ ٥ تخطيط رباط المنستير (الطابق الارضي) (عن اليزن)



شكل ـ ٦ رباط المنستير (الطابق العلوي) (عن ليزن)



مخطط لحفريات موقع باش طابيـا (رسم ٥)

الهوامش

(١) هذا ما أكده ابن منظور في لسان العرب ٣٠٧/٧ قوله : بان العرب تسمي الخيل اذا ربطت بالافنية وعلفت ربطا ، وواحداها ربيط .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الانفال ، الاية ٦٠ . ومعنى رباط الخيل الوارد في الاية الكريمة اعلاه . كما يذكر الزمخشري في تفشره « الكشاف » ٣٠٨/١ بانه « كان تخصيصا للخيل »

(٣) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الاية ٢٠٠ .

(٤) ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ٦٢/٢ ، ومنها قول الرسول (ص) « رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

(٥) ابو العرب ، طبقات علماء افريقية وتونس ، صفحة ٥٢ .

(٦) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، الجزء السادس صفحات ٢٢١ و ٢٥٤ .

(٧) الشيخ طه الولي ، المدينة في الاسلام ، مجلة الفكر العربي ، العدد ٢٩ سنة ١٩٨٢ . صفحة ١٢٨ .

(٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١٧٧ . ومن جملة الربط التي يذكرها المقدسي هي : غزة ، عسقلان ، ماخور ، رسوف . ويعتبر رباط الشامية المهمة .

(٩) ابن رستة ، الاعلاق النفسية ، صفحة ١١٨ . ويشير الى الربط التي كانت على سواحل البحر الابيض المتوسط دون أن يذكر اسماءها .

(١٠) ابن زولاق ، ذكر مصر واخبارها ، مخطوط . الورقة ٦٨ . ويشير الى مجموعة الربط المصرية بقوله : « من ذلك البرلس ورباط الرشيد ورباط الاسكندرية ، ورباط ذات الحمام ، ورباط البحيرة ، ورباط اخنا ورباط الحرس والبجة وما يقرب منها ، ورباط اسوان على النوبة ورباط الواحات على البربو والسودان » انظر الربط الاسلامية ، خالد سعيد ، رسالة ماجستير غير منشورة .

(١١) الاصطخري : مسالك الممالك ، ص ١٦٣ .

(١٢) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ١٧٥ .

(١٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

(١٤) ابن خلدون ٤٢٩/٤ .

(١٥) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ٤٤٨/٢ .

(١٦) Marcais, L,architecture MusuLman, P.24

(١٧) Marcais, L,architecture MusuLmane, P. 24

(١٨) اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٣٥١ .

(١٩) اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٣٥٠ .

(٢٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثالث صفحة ٢٣ .

(٢١) ابن الاثير ٥/٦ ، ابن خلدون ٤٣٤/٤ .

(٢٢) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ٤٤٧/٢ – ٤٤٩ .

(٢٣) خالد سعيد ، نفس المصدر ، صفحة ٣٤ .

(٢٤)

Comb, Reportoire Cronologue Epigraphie Arab, Vol. 1, P. 115.

(٢٥) يشير كل من (بشير هودس) في بحثه "Epigraphie Tunisienne" الجزء الرابع ، صفحة ٣٢ ، لوحة ـ ٢ . "L'Architecture" صفحة ١٧٣ ، ومارسيه في كتابه وكريزويل في كتابه الكبير الموسوم : "Early Muslim Architecture" الجزء الثاني ، صفحة ١٦٣ . بان زيادة الله هو باني هذا الرباط .

أما لينزن فانه أستبعد ان يكون الرباط من انشاء الاغالبة ، ويرجح نسبته الى الوالي يزيد بن حاتم المهلبي ، ١٥٥ ـ ١٧٢هـ / ٧٧١ ـ ٧٨٨م)

LeRibat de Souss. PP. 20—21.

(٢٦)

Creswell, Early Muslim Architecture, Vol. 11, P. 168

(٢٧) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، صفحة ٣٥ .

(٢٨) التيجاني ، رحلة التيجاني ، صفحة ٨٥ .

(٢٩)

Creswell, op. cit., P. 168.

(٣٠) والمشربية أنواع مختلفة من الخشب المخروط المشبك انتشر استعمالها في مصر حتى بلغت صناعتها أوج عظمتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكانت تصنع منه الشرفات والاحجبة التي تغطي الفتحـــات والنوافذ حتى يحفظ حرمة أهل البيت من أنظار الغرباء ، وتسمح في الوقت نفسه بمرور الهواء والضوء ، وقيل أن أصل الكلمة مشتقة من « الشرب » لان الواح هذا الخشب المشبك ، كانت تثبت في بداية الامر بنوافذ المساكن كي توضـــع عليها قلل الماء فتبرد وتصبح لذيذة للشرب ، وفي مدينة القاهرة ، ودار الآثار العربية انواع شتى من خشب المشربيـــات . (انظر : تراث الاسلام . صفحة ١٥٩ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحـــات ٢٨٨ ـ ٢٨٩ شكل ـ ١٩٣) .

(٣١) عفيف بهنسي ، اثر العـرب في الفن الحـديث ، صفحة ١٦ .

(٣٢)

Bulletin de L'Institut Francaisd, archeo logie Orientale Vol. XXIII, Cairo, 1924.

(٣٣) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز ، صفحة ١٦٨ .

(٣٤)

Creswell, op., cit., P. 336, Pls. 54 C, 56 a - b.

(٣٥) Creswell, OP. cit., Pl. No. 39; فريد شافعي : المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، شكل ١٣٥ و ١٣٦ .

(٣٦) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز ، صفحة ١٦٨ .

(٣٧)

Tahir Al-Amid, Bulletin of the college of Arts, Vol. 22. 1918 " Some influences of Arab - Islamic

Architecture on European Architecture" PP. 34-35.

(٢٨) خالد سعيد ، الربط الاسلامية ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٢ ، صفحة ٣٦ .

(٣٨) خالد سعيد ، الربط الاسلامية ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، كلية الاداب ، جامعة بغدا ، ١٩٧٢ ، صفحة ٣٦ .

(٣٩) يشير كريزويل في كتابه " E. M. A. " الجزء الثاني صفحة ١٦٩ بان قياسات الفناء على التوالي وهي ٣٥ر٢٠م ، ٤١ر٢٠م ، ٢١ر٢٩ ، ٥ر١٦م .

(٤٠) يذكر برزويل في كتابه " E. M. A. " ، الجزء الثاني صفحة ١٦٨ بان هذه الاروقة كانت مغطاة باقبية نصف اسطوانية محمولة على دعائم حجرية ماعدا الاروقة في الجهتين الشرقية والشمالية فانها مغطاة باقبية متقاطعة . ويرى ليزن في كتابه " Le Ribat de Souss, " P. 15 ، بان الاقبية المتقاطعة هذه جديدة ومن المحتمل انها قد بنيت في عام ١٩٣٥ هـ .

ويؤيد كريزويل ، في " E. M. A. " صفحة ١٦٩ . ذلك مشيرا بان عقود هذه الاقبية وكذلك دعائمها ترجع الى فترة حديثة على الرغم من أن عقدين او ثلاثة منها قد تكون اصلية ، اما عقود الرواق الغربي فهي على شكل نصف دائري ، وعقود الضلع الجنوبي كانت مدببة ، ويرى كريزويل بان هذه العقود قد تكون اصلية ، وان كانت مغطاة بطبقة من الملاط ثم اعيد بناؤها بطبقة اخرى .

ويرى مارسيه في كتابه : "L'architecture MusuLmane" صفحة (٢٢١) ، بان هذه العقود المدببة ودعائمها تشبه بما هو موجود بمسجد بوفتاتة .

انظر للاستزادة ، خالد سعيد ، الربط الاسلامية ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، صفحة ٣٩

(٤١) راجع خالد سعيد ، المصدر السابق ، صفحة ٣٩ .

(٤٢) Marcais, Op. cit. P. 31; Lezin, op. cit., P.16.

(٤٣) Marcais, OP. cit., P.31.

(٤٤) احمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٢٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ٤٥١/٢ .

Creswell, op. cit., P. 170, 232.

(٤٦) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٥ .

(٤٧) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٥٩/٥ ، ٧٥/٦ .

(٤٨) Marcais, Art. "Monastir" E. 1., Vol., III, PP. 554-5

Lezein, OP. cit., P.36.

(٤٩) وخالد سعيد ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٥٠) يذكر « ده سلان » في مؤلفه صفحة ٧٤ ، بان التسمية ترجع الى وجود دير مسيحي في تلك المنطقة قبل الاسلام . ويرجع « مارسيه » في كتابه "L'architecture" الجزء الثاني ص ٥٥٤ ، هذا الرأي ويضيف بان البيزنطيين

المسـيحيين ، او الذين اسلموا قريبا اطلقوا هذه التسمية على الرباط الاسلامي .
(٥١) انظر الادريسي ، صفة المغرب والسودان ، ص ١٢٥ ، الهروي ، الاشارات الى معرفـة الزيارات ، ص ٥٣ . ياقوت ، معجم البلدان ١٧٥/٨ .
(٥٢) البكري ، المرجع السـابق ، ص ٣٦ .
(٥٣) الهروي ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(٥٤) ابراهيم شبوح ، مجلة افريقية ، م ٣ ـ ٤ « حول منار قصر رباط المنستير واصوله المعمارية صفحـات ٥ ـ ٦ .
(٥٥) زبيس ، بين الاثار الاسلامية ص ٥٧ .
(٥٦) خالد سعيد ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٥٧)

Lezin, OP. cit., P. 38

وانظر خالد سعيد ، المرجع السـابق ، ص ٣٠ .
(٥٨) للاستزادة من وصف المسجد في الطابق العلوي راجع خالد سعيد المرجع السابق ، صفحة ٣١
(٥٩) ابراهيم شبوح ، المرجع السابق ص ٧ .

المراجع والمصـادر العربية :

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ ابن الاثير : (علي بن محمد بن احمد بن ابي الكرم) .
الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ .
٣ ـ ابن تيمية : (تقي الدين أبي العباسي احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي) .
ـ مجموعة الرسائل الكبرى ـ القاهرة .
٤ ـ ابن الخطيب : (أبو عبد الله محمد بن سعيد التلمساني) .
ـ اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . بيروت ١٩٥٨ .
٥ ـ ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)
ـ المقدمة ، طبع القاهرة ١٣٢٠ هـ .
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر بيروت ـ ١٣٥٨ .
٦ ـ ابن رسته : (احمد بن عمر)
ـ الاعلاق النفسية ، ليدن ١٨٩١ .
٧ ـ ابن زولاق : (الحسن بن ابراهيم)
ـ ذكر مصر واخبارهـا .
٨ ـ ابن منظور : (جمال الدين محمد بن منظـور)
لسـان العرب ، بيروت ١٩٦٥ .

٩ ـ ابو العرب : (محمد بن احمد بن تميم القيرواني)
ـ طبقات علماء افريقية وتونس ، تونس ١٩٦٨ .
١٠ ـ ابو المحاسن : (جمال الدين ابو المحاسن)
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبع دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٦٠م .
١١ ـ الادريسي :(ابو عبد الله محمد)
ـ صفة المغرب والسودان والاندلس ، ليدن ١٨٦٣ .
١٢ ـ البكري : (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز)
ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، باريس ١٩١١ .
١٣ ـ التيجاني : (شهاب الدين بن عبد الله)
ـ معجم البلدان ، لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ .
١٥ ـ زبيس : (سليمان مصطفى)
بين الاثار الاسلامية في تونس ، تونس ١٩٥٣ .
١٦ ـ سالم : (الدكتور السيد عبد العزيز)
المغرب الكبير ، الجزء الثاني .
١٧ ـ شبوح : (ابراهيم شبوح)
حول منار قصر رباط المنستير واصوله المعمارية ، مجلة افريقية ، المعهد القومي للاثار والفنون ، تونس ١٩٦٩ ـ ٩٧٠ المجلد ٣ ـ ٤ .
١٨ ـ شافعي : (الدكتور فريد)
العمارة العربية في مصر الاسلامية ، الجزء الاول ، القاهرة .
١٩ ـ فكري : (الدكتور احمد)
ـ مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة .
٢٠ ـ المقدسي : (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .
٢١ ـ الهروي : (ابو الحسن علي بن ابي بكر)
ـ الاشارات الى معرفة الزيارات ، باريس ١٩٥٣ .
ـ البلدان ، ليدن ١٩٨٢ .
٢٢ ـ اليعقوبي : (احمد بن جعفر بن وهب بن واضح)

المصادر باللغـــات الاجنبية :

٢٣ —

Al- Amide : (Dr. Tahir M.)
"Some influnces of Arab - Islamic Architecture on European
Archittecture" From the Bulletin of the College of Arts, Vol. 22. 1978.

٢٤ —

Combe, Sauraget et wiet:
Repertoire chronologique d'Epigraphie Arabe, 12
12 Vols. Caire, 1931 - 1950.

٢٥ —

Creswell. Early Muslim Architecture, 2 Vols. oxford, 1932 — 1940

٢٦ —

Houdes and Besset:
Epigraphie Tunisenne"
Alger 1882.

٢٧ —

Lezine (A.)
Le Rlbat de souss, Tunis 1956.

٢٨ —

Marcais (G.)
— L'Architeeture Musulmane., Paris 1954.
— "Monastire" ,Encyclopaedia of Islam. Leyden 1939 Vol. III.



شكل ــ ١ موقع مدينة سوسة ورباطها في تونس

الاستعدادات العسكرية والاستحكامات الدفاعية واثرها في افشال حملة نادرشاه على الموصل عام ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م

الـدكتور احمد قاسم الجمعة
مدير البحوث الآثارية والحضارية
بجامعة الموصل

نظرا للموقع الاستراتيجي والاهمية الاقتصادية والدور السياسي والنتاج الحضاري للموصل اصبحت مستهدفة من الغـزاة والطامعين ، ولهذا طبعت المدينة بالطابع العسكري واتخذت عمارتها نمطا دفاعيا بصورة عامة منذ القدم، ولم يقتصر ذلك على المباني العسكرية البحتة ، كالقلاع والاسوار فقط ، وانما تعداها الى المباني السكنية والخدمية كالبيوت والخانات والاسواق ، فضلا عن تهيئة كافة المستلزمات التي تعزز الناحية الدفاعية ولا سيما الاقتصادية والنفسية .

فالموصل من اهم الحصون التي كانت تحمي نينوى من جهة الغـرب في العهد الاشـوري . كمـا اصبحت مـن الاجنـاد الحربيـة المهمـة في العصر الراشدي . وكان لهـا دور مشـرف في مقـارعة الفـزاة مـن ايلخانيين وتيموريين وفرس وغيرهم . كما ساهمت جيوش الموصل منذ عام (٥٠٥ هـ / ١١١١م) في تحرير العديد من مدن الشام من سيطرة الصليبيين(١) ، واصبحت مركـزا لتجمع المقاتلين من ابنائها ومن القوات العثمانية التي ادت الى هزيمة القوات الفارسية التي حاصرت بغـداد عام (١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م) بقيادة نادرشاه(٢) .

والذي يعنينا في بحثنا من كل ذلك هو التركيز على النواحي العسكرية والدفاعية التي كان لها الاثر الفعال في افشال حملة نادرشاه على الموصل عام (١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) .

فبعد ان فكر نادرشاه بحصار بغداد أرسل أحد قادته المدعو نركزخان مع ثمانية آلاف مقاتل لاحتلال الموصل وفي طريقه اليها دمر العديد من القرى والمحاصيل الزراعية وفتك بأهلها ، وبعد وصول هذه القوة منطقة الفزلاني في الجهة الجنوبية للمدينة تصدى ابناء الموصل لها بقيادة الوالي حسين باشا الجليلي وبمعركة طاحنة انتهت بقتل نركزخان وابادة معظم قوته ، وهرب من تبقى منها مذعورين باتجاه بغداد للالتحاق بالجيش الفارسي الذي كان قد ضرب الحصار حولها(٣) .

ويظهر ان نادرشاه كان يفكر بفتح الموصل قبل بغداد بغية السيطرة على نقطة اتصال العراق بالجزيرة ، وقطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد وأحكام قبضته على العراق ، ثم الاستيلاء بعد ذلك على بغداد بسهولة.
ومما يجدر بالاشارة أن هذه الخطة الاستراتيجية كانت قد حاولت القوات الفارسية الغازية تنفيذها عدة مرات وللاسباب ذاتها(٤) .
ومن المرجح أن نادرشاه كان ينوي الضغط على الموصل عسكريا واقتصاديا ونفسيا تمهيدا لحملته الواسعة التي شنها على المدينة عام (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) ، بينما فشل الحملة السريع وقتل قائدها يدلل على الاستعدادات العسكرية والدفاعية للمدينة والتهيء الجيد لكل الاحتمالات .
وبعد فشل نادرشاه في احتلال بغداد بحدود عشر سنوات عقد العزم على احتلال الموصل عنوة(٥) ، وقاد حملته الواسعة المنوه عنها قاصدا الموصل عن طريق بغداد — كركوك — اربيل (طريق شهرزور القديم) لان هذا الطريق يساعد على التقدم المأمون نحو الشمال(٦) . وكانت حملته تقدر بحدود ثلاثمئة الف مقاتل ، وقد تمكن من الاستيلاء على كركوك ثم عبر الزاب الصغير واحتل اربيل وفتك باهلها ودمر قراها واصبحت الامور مهيئة له للسير الى هدفه الرئيس مدينة الموصل(٧) .
غير ان السلطة الحاكمة في الموصل لم تكن بغافلة عما يجري وخطة نادرشاه لاحتلال الموصل فأخذت تستعد للحفاظ على كيانها بحماس شعبي منقطع النظير حيث ضرب الوالي حسين باشا الجليلي خيامه حول المدينة ثم شرع الجميع بالاستعدادات لمجابهة العدو على انغام الموسيقى العسكرية(٨) . فقد امر الوالي بترميم السور وتقويته بالجص والحجارة وسد الثغرات فيه(٩) وحصنت القلاع بالمدافع وجهزت بالذخيرة اللازمة ، وعينت مراكز المدافعين

وحفرت الآبار حول السور لحمايته من نسفه بالبارود ، وتم تنظيف الخندق وتعميقه ليعوق وصول الاعداء الى الاسوار ، وسويت التلال والمرتفعات الكائنة حول المدينة لمنع تسلط واشراف العدو عليها ، وملئت المخازن بالحبوب(١٠) ، كما امر الوالي الاهالي الكائنين خارج الاسوار بالدخول اليها(١١) .

وبهذا اصبحت المدينة مستعدة لتواجه مصيرها لوحدها بشجاعة منقطعة النظير ، لان الدولة العثمانية لم تبد أية بادرة حقيقية لمساندة الموصل في وضعها الصعب وانما اكتفى السلطان محمود الاول بالطلب من والي حلب حسين باشا القازوقجي ان يساعد الموصل بعدد من اتباعه(١٢) الذين قدروا بحوالي الفي مقاتل توفي بعضهم في الطريق الى الموصل قبل وصول القوات الفارسية بيوم واحد ، كما انضم الى المدافعين عن المدينة حاكم كويسنجق (قوج باشا) بفرسانه البالغ عددهم خمسمئة مقاتل وبهذا بلغ عدد القوات المدافعة عن المدينة حوالي ثلاثين الف مقاتل(١٣) في حين بلغت قوات نادرشاه بحدود ثلاثمئة الف مقاتل(١٤) .

وبعد احتلال نادرشاه لمدينة اربيل أرسل خطابا الى أهالي الموصل مليئا بالتهديد والوعيد والطلب منهم استقباله وتسليمه المدينة بدون مقاومة(١٥) .

وعلى اثر ذلك دعا الوالي حسين باشا الجليلي اهالي الموصل الى اجتماع عام عند الجامع الاحمر (المجاهدي) خارج أسوار البلدة(١٦) الى الجنوب منها لتدارس الامر واستقر الرأي على مقاومة الغزاة وضرورة التمسك بالمدينة حتى الرمق الاخير وتفضيل الاستشهاد على الاستسلام للعدو(١٧) . ولهذا الاجماع اهميته في ترصين الوحدة الداخلية المطلوبة في مثل تلك الظروف .

ومن الامور الاحترازية الاخرى التي أمر والي الموصل بتهيئتها قبل المعركة هي تهيئة الاكياس المملوءة بالتراب لسد الثغرات التي قد يحدثها العدو في السور ، وبناء سواتر ترابية ورائها(١٨) ، وضرب الوالي بعد ذلك خيامه حول المدينة ترغيبا للسكان واستثارة لحماسهم وهممهم(١٩) .

ولما ظهر نادرشاه بجيشه البالغ ثلاثمئة الف وعدته الكبيرة عند قرية يارمجة الواقعة على الساحل الايسر لدجلة الى الجنوب الشرقي من الموصل بحوالي خمسة عشر كيلومتر بحيث أصبح يشرف عليها عندها اتخذ الوالي حسين باشا الجليلي خطوة أخرى تتضمن اصدار اوامره بالاتفاق مع حليفيه والي حلب وحاكم كويسنجق ومن معهم من الجيش بالزحف على العدو ومقاومته ، كما ارسل اخاه عبدالفتاح على رأس قوة هاجمت العدو بكل شجاعة وضراوة ، ولما حاول العدو تطويقه تمكن من اختراق ذلك الطوق

وانسحب داخل المدينة واقفلت مداخلها وبادر مقاتليها بمقـــاومة العدو من داخلها(٢٠) .

وتتجلى أهمية هذه القوة في احداث بعض الارباك في صفوف العدو واثبات شجاعة مقاتلي الموصل ورباطة جأشهم واستعدادهم لمقارعته في أي مكان حتى بالقرب من مقره على الرغم من كثافة جيشه وكثرة وتنوع عدده .

وبعد استعراض الاستعدادات العسكرية الضرورية التي اتخـــذت في الموصل من الناحية التعبوية لمجابهة العدو لا بد لنا من التطـــرق الى اهم العمليات العسكرية التي رافقت حملـــة نادرشاه على المدينة ، والتعـريف بالاستحكامات الدفاعية فيها لكي يمكن الالمام بالعوامل الذاتية التي ادت الى حسم تلك الملحمة لصالح المدينة .

فبعد مكوث نادرشاه بمقر قيادته في يارمجة لمدة ستة ايام قرر استطلاع استحكامات الموصل فعبر النهر بجيشـــه وأحاط بالمدينة وأقام حولها اثني عشر برجا تقابل الابراج الاثنتي عشر للمدينة ونصب مدفعيته عليها(٢١) التي تألفت من مئة وستين مدفعا ثقيلا ومئتين وثلاثين مدفع هاون (٢٢) .

وباشرت تلك المدافع بضرب المدينة دفعة واحدة لمدة ثمانية ايام بلياليها . ولما لم يفت بعضد المدافعين ذلك اتخذ العدو خطوة أخرى فركز نـــيران مدفعيته على البرج الرئيس لقلعة الموصل (باشطابية) الذي يحوي غـــرفة عمليات الوالي حسين باشا الجليلي (رسم ٢) . وعلى الرغم من احداث بعض الثغرات الا ان المدافعين تمكنوا من سدها بأكياس التراب ووضع اجســـاد الشـــهداء فيها(٢٣) .

ولجأ نادرشاه بعد ذلك الى الحصار الاقتصادي فأمر بتحويل احـــدى شعبتي نهر دجلة عن المدينة (رسم ٧) الا ان المدينة عوضت عن ذلك بميـــاه الآبار(٢٤) ، كما حاول العدو حفر بعض الانفاق تحت السور ليصل الى داخل المدينة الا انه لم يوفق بتلك العملية وخسر اربعة آلاف وخمسمئة قتيلا(٢٥) .

ولما لم يفلح العدو بذلك عمد الى تلغيم أجزاء من السور عند باب سنجار (رسم ١) وتهيئة أكثر من الف سلم بالقرب من القلعة الرئيســـة (باشطابية رسم ١) . وكان يروم من ذلك استغلال انهماك مدافعي المدينة بمقاومة جنده الذين سيتسلقون الاسوار ، ثم يدخل المدينة من الثغرات التي ســـتحدثها الالغام عند انفجارها . غير ان هذه الخطة فشلت هي الاخـرى حيث ابطلت الآبار المستحدثة في اسفل السور مفعول بعضها وانفجر البعض الاخـــر على مفجريه . وتمكن المدافعون من مقاتلي الموصل من قتل المئات من جند الاعداء الذين حاولوا تسلق السلالم(٢٦) .

ولما فشل نادرشاه من اقتحام المدينة عمد الى محاولة اغفال اهلها فتظاهر بالانسحاب لكي يرجعوا الى اعمالهم الاعتيادية ووضعهم الطبيعي بعيدين عـــن

المظاهر العسكرية . فسار بجيوشه الى جزيرة ابن عمر واعمل السيف في رقاب اهلها وخرب الكثير من القرى التي صادفها بطريقه ، ولما فرغ منها قفل راجعا الى الموصل ليباغتها فوجدها أمنع تحصينا ، حيث تنبه اهلها الى تلك الخديعة فزادوا من تحصين مدينتهم واحكام اسوارها وابراجها واستحضار المؤن الغذائية او المستلزمات الحربية(٢٧) .

وادى كل ذلك الى تفكير نادرشاه في القيام بهجوم كاسح من ناحية باب سنجار والقلعة الرئيسة (رسم ١) ، ومد الجسور على النهر وعبر الآلاف من جنده الى هذه الناحية ، غير ان المدافعين من اهالي الموصل ابادوا الآلاف من جنده بواسطة القنابل اليدوية والبنادق(٢٨) . مما اضطر نادرشاه وجيشه الى رفع الحصار عن المدينة ، وسحب مدفعيته الى مقر قيادته بالجانب الآخر لدجلة ، والتوقف عن العمليات العسكرية بعد حصار دام اثنين واربعين يوما تعرضت المدينة خلالها الى خمس هجمات كاسحة وضربت بالالاف من قذائف المدفعية عدا تاثير الاسلحة الاخرى .

وجرت بعد ذلك مراسلات متعددة بين الطرفين بناء على طلب نادرشاه رافقتها تبادل الهدايا بعد تبادل القذائف وانتهى الامر باندحار نادرشاه وانسحابه الى بلاده مع بعض رؤوس الخيل التي طلبها من والي الموصل كهدية .

اما الاستحكامات الدفاعية للموصل والخصائص الاستراتيجية لها المتمثلة بالموضع والتخطيط وطبيعة الاسوار والقلاع الكائنة فيها فكانت هي الاخرى من العوامل الذاتية المهمة التي ادت الى افشال حملة نادرشاه .

فموضع الموصل يتميز بارتفاعه البين الذي يهيمن على المناطق المحيطة به . وتتجلي الاهمية الدفاعية لهذه الميزة في كونها تسهل عملية الرصد ومجابهة الاعداء . ولعل هذا السبب الذي جعل نادرشاه يتخذ موضع يارمجة المرتفع مقرا لقيادته على الرغم من بعده عن الموصل بحوالي ثلاثة اميال ، وتغيير محل قيادته بعد ذلك الى موضع القاضية على الساحل الايسر للنهر قبالة القلعة الرئيسة (باشطابية) ، كما ان لظاهرة احتضان الموصل لضفة دجلة اليمنى (رسم ١) اهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة ، لان النهر ربط الموصل بظهيرها من المدن الواقعة عليه ، واصبح بمثابة خط دفاعي للمدينة من الشرق ، ويعد المورد المائي الرئيس لها . ولاجل ذلك امر نادرشاه بتحويل مسار شعبة دجلة التي تغذي المدينة في اثناء حصاره لها(٢٩) .

وتتجلى الاهمية الدفاعية في تخطيط الموصل الدائري (رسم ١) لانه يسهل عملية المراقبة والحماية والسيطرة الادارية افضل من التخطيط المربع والمستطيل(٣٠) ، وذلك لان المزاغل او الشرفات الكائنة في ابراج الاسوار الدائرية تكون بزاوية منفرجة واسعة ، ويمكن تحريك الجيوش من مركز

المدينة الى اية جهة اخرى بنفس الوقت(٣١) ، كما ان النسيج العمراني المتراص في مباني الموصل حقق بنية محتشدة للمدينة لانه يسهل عملية المدافعين ويقلل من زخم المهاجمين وذلك لعدم وجود مسافات واسعة بين احياء المدينة المتصلة بعضها مع بعض .

وسور الموصل مر بادوار معمارية متعددة خلال العصور الاسلامية منذ العهد الاموي(٣٢) حتى الفترة العثمانية مما ادى الى حدوث تغييرات مهمة في تصميمه ومواده البنائية والذي يعنينا من كل ذلك وضع السور في الفترة العثمانية لدى محاصرة نادرشاه للمدينة .

ومما لا شك فيه أن السور في هذه الفترة كان يتميز بالقوة والضخامة من الناحية التصميمية والانشائية لان العثمانيين اهتموا بالتحصينات العسكرية ولا سيما في الموصل التي أزدادت اهميتها الاستراتيجية لاتخاذها قاعدة للدفاع عن العراق ضد الفرس من ناحية(٣٣) ولتطور الاسلحة النارية الهجومية كالمدفعية الثقيلة في هذه الفترة من ناحية اخرى .

ويتضح لنا مما أورده الصوفي حصانة وضخامة السور فقد بلغ سمكه ثلاثة امتار وارتفاعه عشرة امتار وطوله عشرة آلاف متر ، واستحدثت فيه ثمانية عشر برجا بهيئات نصف اسطوانية وتتخلل الاجزاء العليا من السور وابراجه مزاغل منفرجة ، ويحف به من الخارج خندق عريض يبلغ عمقه حوالي سبعة امتار(٣٤) .

ويظهر ان السور اقتصر على اثني عشر برجا اثناء محاصرة نادرشاه للموصل كما مر بنا من خلال ما اوردته المراجع التاريخية .

ومن الطبيعي ان سمك السور اعطاه قوة انشائية عالية بحيث أصبح من المتعذر على الاعداء اختراقه فيما اذا ما نجحوا في الوصول اليه واحداث بعض الثغرات فيه لان عملية حفر الاسوار السميكة اثناء المعارك تحتاج الى وقت ومجهود وخسارة بشرية كبيرة(٣٥) ، وفعلا هذا ما حصل لجيش نادرشاه حيث فقد الآلاف من اعداده عند الاسوار كما مر بنا .

اما الارتفاع الكبير لسور الموصل فقد ادى الى تعذر تسلق العدو اياه . وقد اتضح ذلك من فشل الآلاف من جنده الذين عبروا الخندق وتسلقوا اكثر من الف سلم لهذا الفرض .

وبالنسبة لخاصية الابراج الدائرية فان لها اهمية تعبوية كبيرة لانها تترك منطقة دفاعية مميتة قليلة جدا فتكون فرص المهاجمين في الاحتماء من أسلحة المدافعين قليلة(٣٦) .

واتخذت مزاغل السور أوضاعا راسية وعمودية فالمزاغل الراسية تكون على هيئة مخروطية مع بعض الميل نحو الاسفل ليسهل التحكم بالعدو واصابته وعلى مسافات متعددة وتتميز فتحتها من الخارج بالضيق ليكون المدافع في

مأمن من الاصابة الخارجية ، وواسعة من الداخل بحيث تسمح لتربص مدافع أو اكثر بالحركة بكل سهولة ، وتصويب الاسلحة بدقة الى الاعداء ، في حين تستخدم المزاغل العمودية لصب الزيت والمواد المنصــــهرة على الاعداء عند عبورهم الخنادق ووصولهم أسفل الاسوار .

أما الشرفات التي تتوج سور الموصل وابراجه فذات هيئات نصف دائرية تقريبا (رسم ٢) ، وتكمن الاهمية التعبوية للشرفات في كونها تمكن المدافع من الاحتماء خلفها ورمي المهاجم بالاسلحة الدفاعية .

والجدير بالتنويه أن الشرفات المســــــنة تعد من المبتكرات المعمارية الآشورية(٣٧) وكانت على هيئة المدرجات التي تعتمد على الزوايا القائمة (رسم ٣) ، ثم تطورت بعد ذلك الى الهيئة التي تعتمد في تكوينها على الزوايا الحادة (رسم ٤) ، ثم شاعت الشرفات ذات المقالع شبه الدائرية ولا سيما في الفترة العثمانية كما في سور الموصل لانها تحقق للمدافعين تحكما في التصويب وحماية اكثر من الانواع السابقة وخاصة بعد استعمال الاسلحة النارية .

وتعد قلعة الموصل الرئيسة (باشطابية) من أهم الاستحكامات الدفاعية فيها والتي كان لها دور مشرف في ملحمة المدينة الخالدة في اثناء حملة نادرشاه فقد مرت هي الاخرى بادوار معمــــارية متعددة يرجع أقدمها الى العهــــد الاموي(٣٨) شأنها في ذلك شأن سور المدينة .

وتقع القلعة في أعلى بقعة من موضع الموصل القديمة الى الشمال الشرقي منه على نهر دجلة (رسم ١) ، ولقد كان لهذا الموقع البالغ ارتفاعه (٢٤٠ م) أهميته الدفاعية لانه مكن المدافعين في القلعة من الاشراف على المدينة والمناطق المحيطة بها وتؤدي اغراض المراقبة والدفاع على افضل وجه .

ونتيجة لتعرض القلعة خلال الفترات التاريخية لهجمات الغزاة والطامعين ولا سيما المغول عام (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) وحصار تيمور لنك لها عام (٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣م) فقد تحولت الى كومة من الانقاض قبيل الفترة العثمانية(٣٩) .

وتعود الآثار الشاخصة من القلعة الى الفترة العثمانية والتي تتكون من برج رئيس يمتاز بضخامته واهميته المستديرة وارتفاعه الشاهق الذي يبلغ من الجهة الشرقية المطلة على النهر حوالي (١٦ م) في حين يبلغ في الجهتين الشمالية والغربية قرابة (١١،٢٥م)(٤٠) كما يتصل بالبرج من الجهة الغربية بقايا السور الذي كان يحيط بالقلعة الرئيسة (رسم ٢) .

وتمكنت هيئة التنقيبات الاثرية بجامعة الموصل في الجهة الجنوبية للبرج عن العديد من المرافق والغرف والممرات الارضية(٤١) (رسم ٥) ، فضلا عن وجود غرف أخرى داخل البرج تتصــــل بعضها ببعض بدهليز افقي ضيق

لا يسمح الا بمرور الاشخاص منه ، كما أن هناك دهليزا آخر بوضعية عمودية يصل أعلى البرج بالغرف التي تتخلله يسمح بتحريك المدافعين ونقل المعدات الحربية بمأمن عن انظار الاعداء .

ومن الامور الاحترازية للقلعة في هذا البرج مدخل سري يؤدي الى النهر ليكون حلقة وصل بينها وبين النهر وظهيره من المناطق والمـــدن الواقعة عليه ليؤمن المياه والمواد الغذائية والتجارية واللوازم العسكرية وهو اجراء وقائـي تركن اليه قيادة العمليات الحربية في حالات الحصار الذي يضرب على المدينة .

ومن المميزات الاخرى للبرج اتساع قطره من الاسفل عما هو في الاعلي ، ولهذه الميزة فضلا عــن ظاهرة التجويف الذي يتخلل غرفه ومرافقه الداخلية فائدة انشائية لانها تزيد من متانته وتماسك مواد البنائية ومضاعفة مقاومتـه للظروف الحربية والتقلبات الجوية .

ويعلو هذ االبرج برج آخر على نفس الغرار ولكنه اصغر منه بحيث أتاح أتاح قسما من سطح البر الاول عرضه (٦٥ر١م) ليكون بمثابة ممر يستخدم لمراقبة الاعداء وتصويب الاسلحة الدفاعية عليهم عن طريق المزاغل المستحدثة لهذا الفرض ، فقد أحيط القسم العلوي من جداره بشـريط بارز يرتكز على مساند حجرية (كوابيل) تحصر فيما بينها مزاغل عمودية لرصد الاعداء وصب المواد المنصهرة عليهم لدى اقترابهم من اسفل البرج .

وقد استحدثت في القسم الذي يعلو الشريط المذكور من حائط البـرج الاول كوىشبه مخروطية واسعة الفتحة من الداخلتضيق تدريجيانحوالخارج، وسرعان ما تنقسم على نفسها الى قسمين : احدهما يتجه نحو الخارج وينتهي بفتحة مائلة ضيقة تسمح بتصويب البنادق ، والاخر يتجه نحو الاسفل (رسم ٦) . وتتضح فائدة هذا النوع من المزاغل المزدوجة بمنح الحـــرية الكاملة للمدافعين وامكان مراقبتهم العدو ورميه من مسافات مختلفة ، كما استحدثت مزاغل أخرى في هذا الجزء من حائط البرج البالغ ارتفاعه (٣٠ر١م) اذ يقع مزغل بين كل كوتين من الكوى التي تحوي المزاغل المزدوجة .

أما البرج العلوي الذي يبلغ ارتفاعه (٧٠ر١م) وسـمكه (٨٠ر١م) ، وتتضح اهمية البرج العلوي في امكان وضع المدافع فيه ، ولهذا زود جـدار البرج بأربع فتحات كبيرة تتسع كل منها لمدفــع فضــلا عــن وجود فتحتين صغيرتين متجاورتين بين كل فتحتين من الفتحات السابقة ، وتتميز باتساعها من الداخل اكثر مما هو في الخارج وتنحرف فتحات بعضها قليلا نحو اليمين او اليسار وبعضها الآخر ذو ارضية مائلة قليلا نحو الخارج (رسم ٢) .

وتكمن الاهمية الدفاعية لمثــل هذا النوع من الفتحات اعطاء المدافعين

حماية كبيرة لانه يتعذر على المهاجمين اصابة المدافعين الذين يحتمون خلف جدران البرج ، كما ساعد الارتفاع الشاهق للبرج على امكان مراقبة الاعداء من مسافات بعيدة والتقليل من تأثير اسلحتهم .

هذا وقد توجت الابراج والجزء المتبقي من السور المرتبط بها شرفات بهيئة شبه دائرية تقريبا ، كما تخلل الجزء الاعلى من السور تحت شرفاته صف بين من المزاغل الدفاعية (رسم ٢) .

ومن القلاع الدفاعية الاخرى في الموصل من الفترة العثمانية القلعة الداخلية (ايج قلعة) الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة على ساحل النهر (رسم ١) .

وقد احيطت القلعة من جهتها الغربية بخندق يستمد مياهه من النهر فحولها الى ما يشبه الجزيرة الاصطناعية(٤٢) (رسم ٨) ، وتتبع القلعة التخطيط البيضوي ، وكان يحيطها سور من الآجر فيه أبراج نصف اسطوانية (رسم ٧) ولم يبق أي اثر للقلعة بعد أن استحدثت في موضعها بعض المنشآت الحديثة (رسم ٨) والذي ازيل بعضها في الوقت الحاضر .

والجدير بالذكر أن القلاع الداخلية هي من المباني الدفاعية التي شاعت في العهد العثماني لتكون مقرا للوالي(٤٣) ومكانا أمينا لحفظ الخزينة والسجلات المهمة(٤٤) فضلا عن أهميتها الدفاعية .

ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى اهمية السطوح المقببة التي تميزت بها مباني الموصل الدفاعية والمدنية على حد سواء والمواد البنائية المستخدمة فيها على الناحية الانشائية وذلك لعلاقتها بقوة المباني التي صمدت بوجه الاعداء .

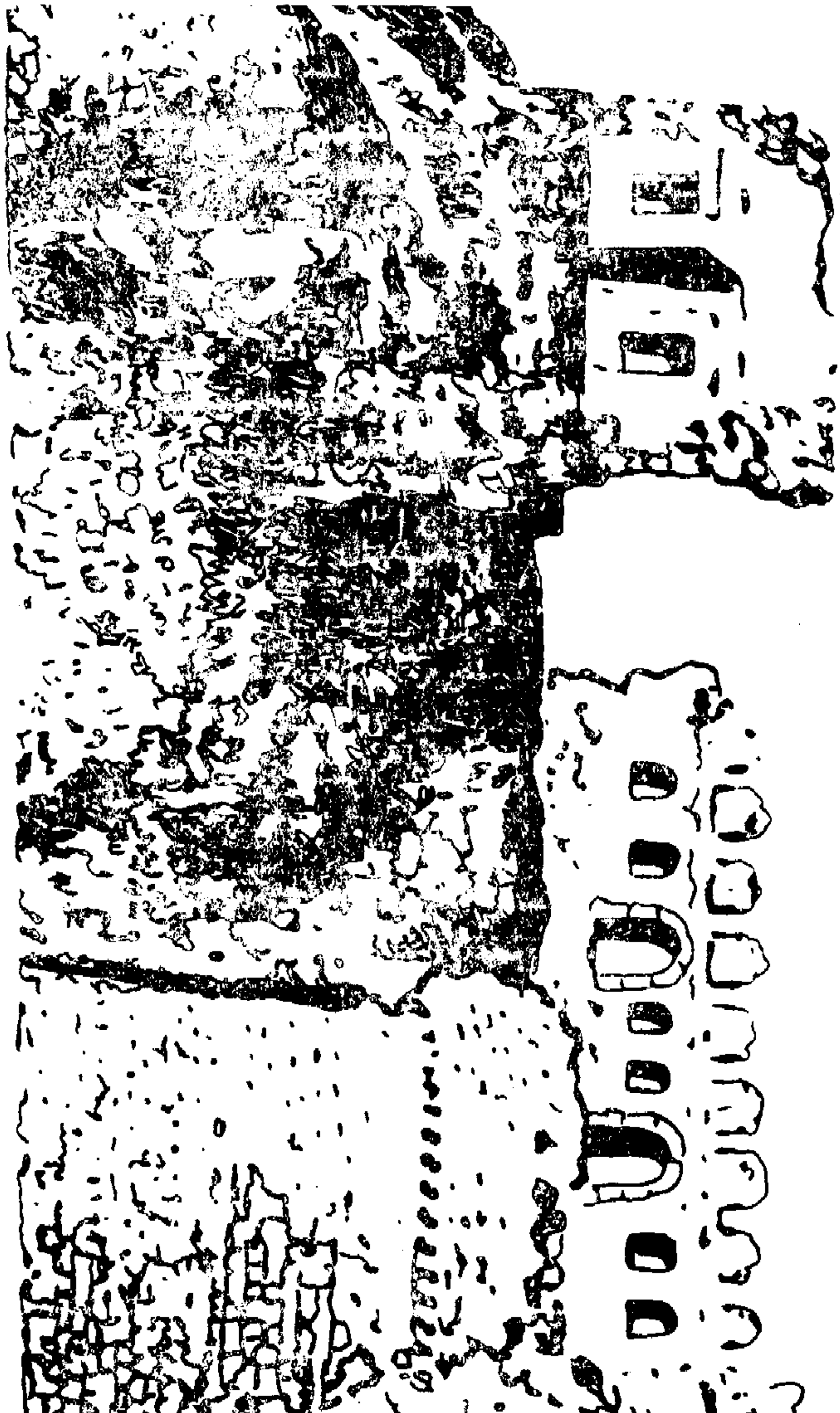
فالسطوح المقببة تساعد على تخفيف القوى الضاغطة على الجدران والاسس التي ترتكز عليها وتكون اكثر تماسكا من السقوف المستوية(٤٥) ، كما يعمل الانحناء المقبب على تخفيف تأثير قذائف المدفعية .

اما الجص والحجارة الكلسية المستخدمة في البناء فقد ساعدت على زيادة سمك الجدران وقوة تماسكها ومقاومتها للتقلبات الجوية والظروف الطارئة(٤٦)

وهكذا تظافرت الاستعدادات العسكرية والاستحكامات الدفاعية في مدينة الموصل مع الروح المعنوية العالية والشجاعة النادرة لسكانها في افشال حملة نادر شاه بملحمة خالدة سيخلدها التاريخ على مر الزمن فقد عبر عنها أولسن بقوله : لم يشهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر مهاجمة اية مدينة بمثل هذه القوة ، فيما اذا استثنينا محاصرة نابليون لمدينة موسكو بـ (٤٠٠) الف مقاتل(٤٨) .

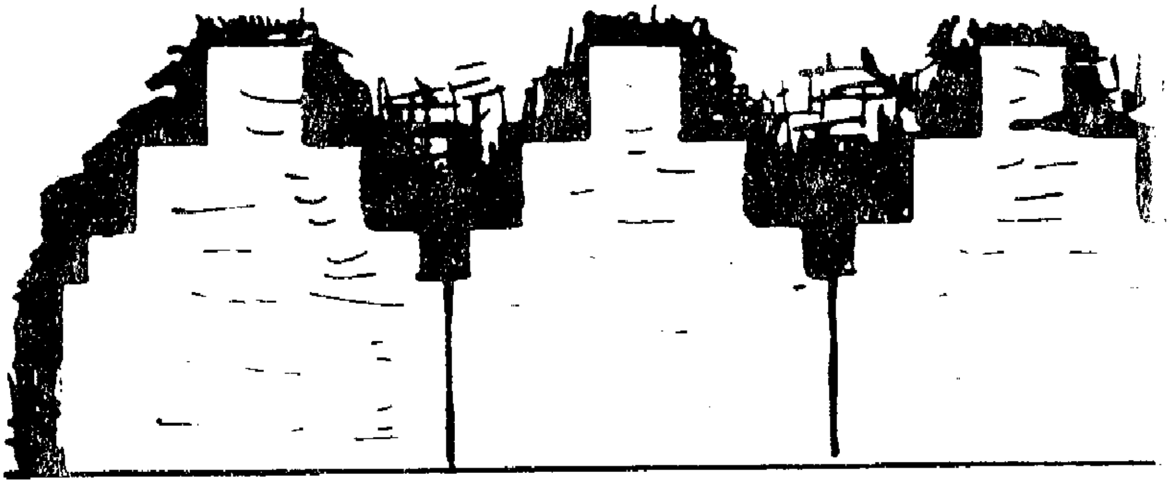
وقد قبر صمود الموصل احلام نادرشاه فاضطر الى التخلي عن حصـــار بغداد ، وسحب قواته من المدن العراقية الاخرى(٤٩) ، وانهى امله في حكمه من الهند الى البسفور ، وابعد تهديد الفرس للطريقين التجاريين : الموصل ــ حلب وارضروم ــ ديار بكر ــ حلب ، ولم يتسن لنادرشاه وصول البحر المتوسط ، كما انقذت الدولة العثمانية من خطر هددها ثلاثة قرون ونصف(٥٠) .


قبر ومدرسة دينية
باب المهدي
مقابر واراضي مهجورة
تلول نينوى
باب سنجار
الجامع الكبير
السراي
الجامع الاحمر
باب البيض
باب الجديد
ش
الموصل
في سنة ١٧٤٢ كما رسمها نيبور
سور وحصن
المدينة
(رسم ١)



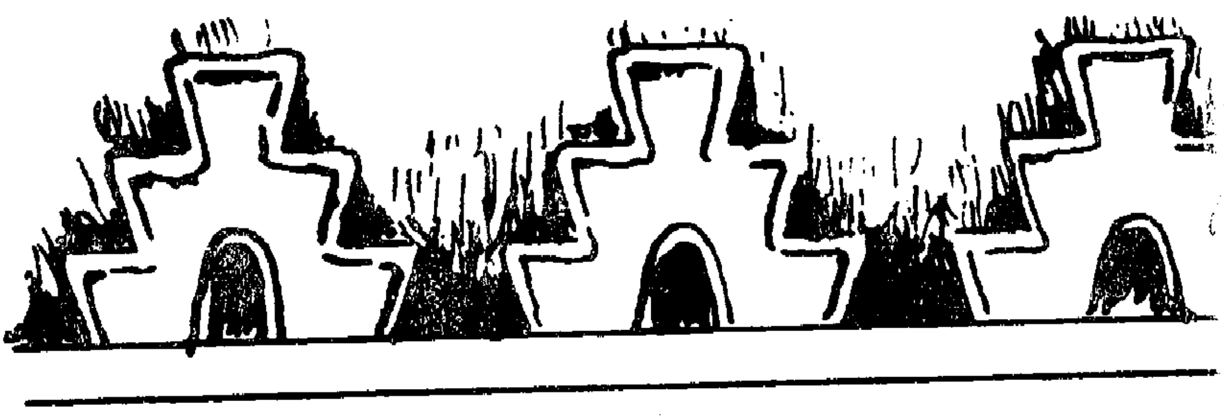
(رسم ٦) المزاغل المزدوجة في برج القلعة الرئيسة باشطابية

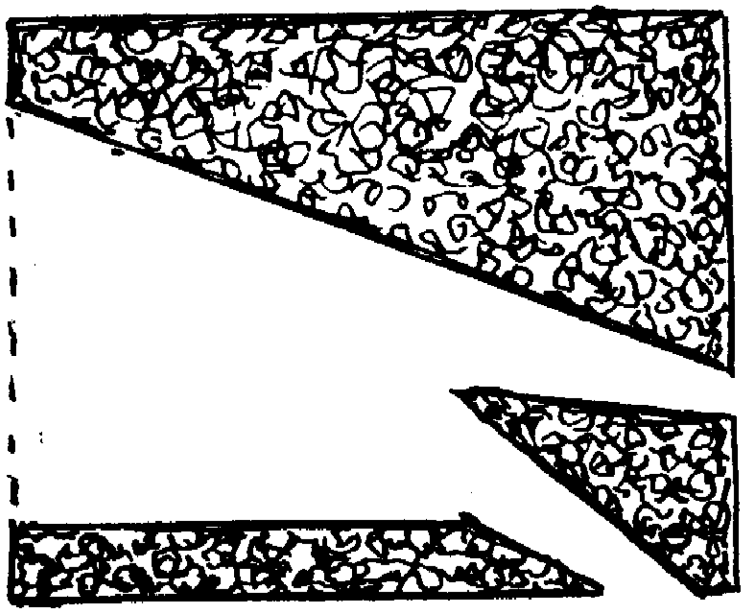
تخطيط د. أحمد قاسم الجمعة

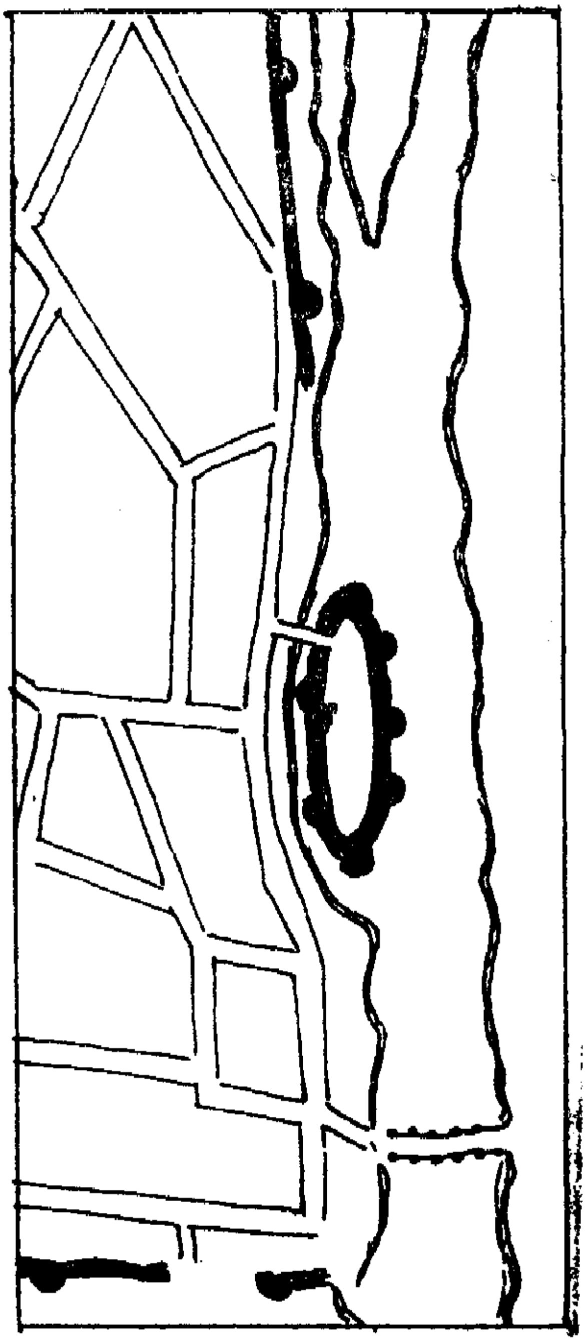


(رسم ٢) البرج الرئيس لقلعة الموصل الرئيسة (باشطابية)

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)

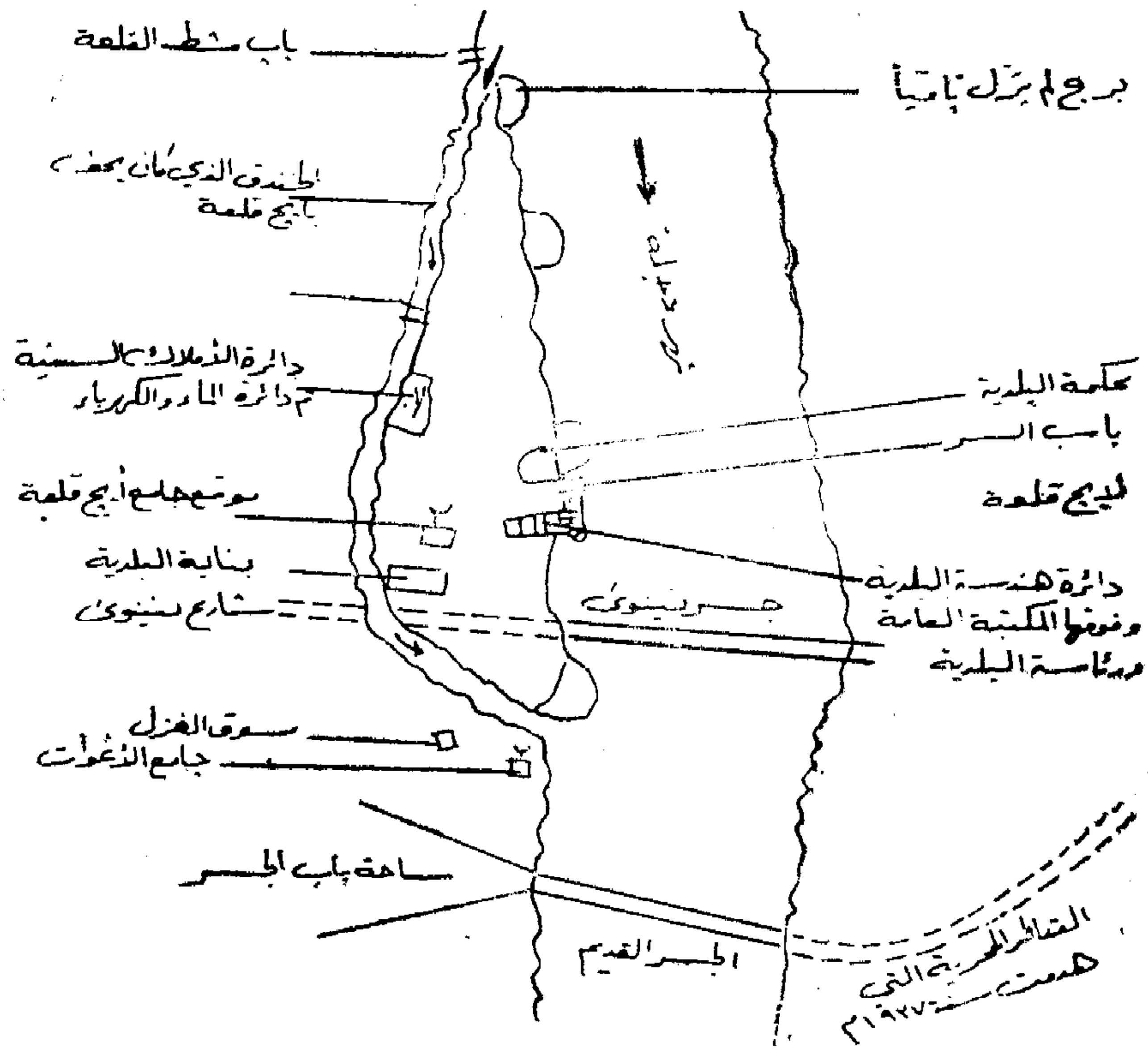






(رسم ٧) جزء من خارطة الموصل ويظهر فيها القلعة الداخليـــة

(عن : نيبور)



(رسم ٨) البنايات التي انشئت ، في اربج قلعة .. القلعة الداخلية بعد تركها

(عن : الديوهجي)

الهوامش

(١) الدكتور عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ، الطبعة الاولى ، بيرق ١٣٩١هـ / ١٩٧١ ، ص ١٣٦ ، ١٦٦ .

(٢) عماد عبد السلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي ١١٣٩ — ١٢٤٩ هـ / ١٧٢٦ — ١٨٢٤ م) ، بغداد ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ١٠١ ، عبد الجبار محمد جرجيس : حصار الموصل من ملاحم البطولة ضد العدو الفارسي ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م ، الموصل ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٤ .

(٣) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ٩٩ — ١٠٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٥) عبد الرازق الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث ، ط ٥ ، جـ ١ ، بيروت ١٩٨٢م ، ص ٤٠ .

(٦) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٧) س.هـ. لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، ط ١ ، بغداد ، ص ١٨٣ .

(٩) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(١٠) المرجع والصفحة نفسها ، عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(١١) ياسين بن خير الله الخطيب العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، تحقيق ونشر سعيد الديوه‌جي ، الموصل ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، ص ٢٧٤ .

(١٢) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(١٣) جرجيس : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١٤) ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ١٥٠ ، محمد امين بين خير الله الخطيب العمري : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تحقيق ونشر سعيد الديوه‌جي ، جـ١ ، الموصل ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ، ص ٢٨١ .

(١٥) محمد امين العمري : المرجع السابق ، ص ١٥٠ ، 151 .

(١٦) ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(١٧) المرجع والصفحة نفسها ، عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(١٨) ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(١٩) محمد امين العمري : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢٠) ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢١) محمد امين العمري : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٢٢) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ، جـ١ ، مصر ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م ، ص ٢٨٨ .

(٢٣) محمدا مين العمري : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .
(٢٤) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .
(٢٥) ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .
(٢٦) المرجع نفسه ، ص ٢٨٤ ، ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .
(٢٧) الصائغ : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٦ .
(٢٨) ياسين العمري : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .
(٢٩) المرجع نفسه ، ص ٢٨٨ .
(٣٠) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، جرجيس : المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٣١) الدكتور طاهر مظفر العميد : المظاهر العسكرية في المدن العربية قبل الاسلام ، المستنصرية ، العدد ١٠ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ص ٤٦٦ .
(٣٢) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤م ، ص
(٣٣) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص ٣٧
(٣٤) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .
(٣٥) احمد الصوفي : خطط الموصل ، جـ٢ ، الموصل ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م ، ص ٢٢
(٣٦) اللواء الركن المتقاعد صبيح محمد رؤوف والدكتور صلاح حسين : المظاهر لحصن الاخيضر ، مجلة سومر ، المجلد ٣٢ ، لسنة ١٩٧٦ م ، ص ١٣٨ .
(٣٧) الدكتور حجاجي ابراهيم محمد : القلاع وتطور الفكرة الهندسية ، مجلة المنهل ٤٥٤ ، المجلد ٤٨ ، رمضان ٢٩٤ .
(٣٨) احمد قاسم الجمعة : محاريب مساجد الموصل حتى نهاية حكم الاتابكة (رسالة (غير منشورة) ، جامعة القاهرة ١٩٧١م ، ص ١٦٢ .
(٣٩) سرو اليس بج : رحلات الى العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، بغداد ١٩١٦م ، ص
(٤٠) سعيد الديوهجي : بحث بتراث الموصل ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٩٠ .
(٤١) سعيد ابراهيم اسماعيل الدراجي : عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٥٠ .
(٤٢)
(٤٣) جيمس بكنغهام : رحلتي الى العراق ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ٦٨ ٦٥ ، ينيـــور .
(٤٤) الديوهجي : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
(٤٥) الدكتور حسين علي الداقوقي : القلاع والحصون في مدن العصور الوسطى ، الاجيـال ، العدد ٤ ، كانون الاول ١٩٨٦م ، ص ١٤٦ .
(٤٦) الدكتور احمد قاسم الجمعة : اصالة المعالجات المعمارية التخطيطية في المد العصور العربية الاسلامية ، مركز احيـاء التراث العلمي العربي لجامعة بغداد ص ١٩ .
(٤٧) الدكتور احمد قاسم الجمعة : المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في وتأثيرها على النمو العمراني الحضري فيها ، مجلة اداب الرافدين ، العدد ١٩٨٦م ، ص ٣٢٦ .
(٤٨) جرجيس : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .
(٤٩) عبد السلام : المرجع السابق ، ص ١١٢ .
(٥٠) جرجيس : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

لجوء رشيد عالي الكيلاني الى الملك عبدالعزيز بين العرف والدبلوماسية

الدكتــور فاروق صالح العمــر
قسم التاريخ ـ كلية الاداب ـ جامعة البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة :

لقد مرت العلاقات العراقية السعودية بفترات امتازت بالمد والجزر في نوعية هذه العلاقات مستندة الى خلفيات زمنية طويلة تمتد لحوالي قرن من الزمان .

ففي مطلع هذا القرن اخذت العائلة السعودية بريادة عبد العزيز بن سعود تسترجع المناطق التي كانت قد فقدتها في الفترة العثمانية ومن جملتها منطقة الحجاز والتي كانت العائلة الهاشمية (عائلة الشريف حسين) تتمتع بحكمها كممثلة للدولة العثمانية اولا وكذلك من خلال الكيان الجديد الذي جاء بعد ثورة ١٩١٦ عندما اصبح الشريف حسين مدكا عليها .

انتهى هذا الصراع بخروج الهاشمية من الحجاز ولكن بعد ان تكونت دول جديدة ، في العراق (الملك فيصل) وفي الاردن (الملك عبد الله) . اما بالنسبة للعراق فقد كانت هناك علاقة غير جيدة بعد ان شن الاخوان هجمات متكررة على حدود العراق الغربية (في الفترة العثمانية اولا) ثم كذلك هجمات اخرى في فترة الملك فيصل سنة ١٩٢١م .. وقد ادت هذه الحوادث الى نوع من البرود السياسي بين الطرفين .

الا ان فيصل كان يريد ان يكون حاكما جيدا في العراق ويحاول ان يبتعد قدر الامكان عن المؤثرات الشخصية او العائلية في علاقاته مع ابن سعود وكان يريد ان يتفادى العلاقات غير الجيدة في سبيل مصلحة البلد الذي اصبح عليه ملكا خاصة وانه كان لا يريد ان تعاد مسرحية دمشق ثانية خلال فترة حكمه في سوريا ١٩١٨/١٩٢٠ ولهذا كان فيصل يبدو في سياسته مرنا متأنيا وسياسيا ذكيا فحاول أن يرسي العلاقات مع السعودية على شيء من الاحترام وعدم الاعتداء وقد توصل الى ذلك بالتأني والبعد عن المؤثرات العائلية وطبيعي ان لبريطانيا تأثيرا كبيرا في التخطيط لمثل هذه السياسة في المنطقة والتي تعتبرها منطقة نفوذ لها .

وقد كان نتيجة المحاورات والتنازلات بين الطرفين ان عقدت عدة اتفاقيات في فترة ما بين الحربين العالميتين نظمت العمل بين الدولتين العراق والسعودية بل اصبحت في فترة معينة علاقة وثيقة جدا . وزاد التقارب بين بعض السياسيين العراقيين والعائلة السعودية خاصة رشيد عالي الكيلاني الذي يعتبر من الشخصيات السياسية البارزة في فترة الثلاثينات الذي استطاع ان يرسي العلاقات على اسس جيدة خاصة في حل المشكلات العشائرية التي كانت تحدث في تجاوزات الحدود الغربية بين العراق والسعودية (١) .

وفي ازمة مايس ١٩٤١ بين العراق وبريطانيا كان اتصال رجال حركة مايس بابن سعود وثيقا جدا فكانوا يستشيرونه في كثير من القضايا وبدوره كان يقدم لقادة الحركة في بغداد النصح المستمر بضبط النفس وعدم التسرع. حتى انتوت حركة مايس وهرب القادة الى خارج العراق ومن جملتهم رشيد عالي الكيلاني حيث التجأ اخيرا في المانيا حتى نهاية الحرب .

وباستسلام المانيا اتجه الكيلاني الى الحدود السويسرية التي رفضت السماح له بالدخول وعلى اثرها اتجه الى بلجيكا ثم فرنسا وفي اواسط تموز ١٩٤٥ هرب من مرسيليا الى بيروت ومنها الى دمشق وقد انكر الكيلاني أن المخابرات الفرنسية قد ساعدته في الهرب ويقول (والحقيقة لم يوصلني الا ربي) (٢) ويحكي الكيلاني قصة هربه فيقول :

« جئت هاربا من مرسيليا بباخرة اسمها مراكو ، (اي مراكش) وكانت الحكومة السورية قد استاجرت هذه الباخرة لاجل نقل التلاميذ السوريين الذين كانوا موجودين في فرنسا بعد ان انقطع الطريق والمساعدات عنهم وعن عوائلهم فجاءت هذه الباخرة وتخفيت انا كتلميذ سوري وعملت باسبورت سوري وسميت اسمي رشيد عالي (x) ويذكر انه حصل على هذا الجواز من براغ عندما بقى فيها حوالي اربعة اشهر متخفيا وقد اخرجه له قنصل سويسري يرعى شؤون السوريين .. ويضيف الكيلاني :

« وبعد ١٢ يوما وصلنا بيروت واجروا تحقيات وتدقيقات وتمكنا من الهرب بشكل مزور وخرجت راسا في ساعة مضبوطة هي الثانية من ليلة اول رمضان سنة ١٩٤٥ فوجدت تاكسي وركبت فيه وذهبت الى دمشق واختفيت في بيت جميل الجابي الذي كان معي وبقيت حوالي الشهر في هذا المنزل وفي ليلة العيد هربت من هناك الى المملكة العربية السعودية على طريق غير اعتيادي وبقيت ما يقارب العشر سنوات (٣) .

وعن هذه النقطة اي مغادرته الى المملكة العربية السعودية يروي لنا احمد فوزي في كتابه (١٢ رئيس وزراء) نقلا عن جريدة البلاغ المصرية :

« وصلت ذات يوم برقية من امير الحدود عند شرق الاردن ان جميل

الجابي المحامي في دمشــق واخرين كانوا يريدون اجتياز الحدود السورية الاردنية السعودية ويطلبون مقابلة جلالة الملك . وكان جلالته يهيأ للسفر في الرياض الى الحجـــاز فسأل عن مهمتهم وماذا تكون ؟ ولماذا لا يراجع الجابي ومن أتى معه السيد شكري القوتلي في سوريا قبل حضورهم إلينا ؟

واعتقد الملك عبد العزيز ان وفدا من السوريين قد حضر يريد مقابلته في شأن من الشئون المتعلقة بالموقف في سوريا وانعقد الرأي على أن يسمح جلالته لهذا الوفد بالمثول لمعرفة ما اذا كان هنالك ضد القوتلي نفسه ، قد يكون من الخير تلافيه بسرعة .

وعلى ذلك فقد اذن الملك عبد العزيز لجميل الجابي بالمجيء الى الرياض ووصــــل الجــــابي في صبــــاح اليــوم الثــاني وكان في حميتــه رشيد عالي الكيلاني ، ولما مثلا بين يديه قال رشيد الواقع يا مولاي .. أن حقيقة الامر .. تختلف كل الاختلاف عن الصفة التي قدمنا بها الى ديار جلالتكم والحقيقة السافرة اني رشيد عالي الكيلاني :

وهدأ الملك .. وارهفت الاذان عندما قال جلالته : ـ يا رشيد .. انا اعلم تماما ما سينجم عن هذا من توتر في العلاقات بيننا وبين العراق ، قد يؤدي الى حرب ولكن ما كان لي بحال من الاحوال ، وقد قابلتني .. والتجأت الـي الا أن اؤمنك وان أذود عنك » (٤) .

لماذا اختار الكيلاني السـعودية :

في الحقيقة انه بعد انتهاء الحرب ، او في الفترة التي وضحت فيها ان الحرب على ابواب الانتهاء ، كان اللاجئون السياسيون في المانيا قد فكروا بان يجدوا لهم مأوا جديدا ، وهذا من الطبيعي لن يكون في اوربا ، او في امريكا ، لانهم رجال سياسة ومؤيدين لدول المحور في الحرب الدائرة ، وعليه فان تفكيرهم كان محددا في المنطقة العربية والدول العربية . وعندما نجد ان هنالك سيطرة استعمارية فرنسية / بريطانية واضحة في المناطق العربية شرقها وغربها فاذن لابد من أن يكون الاختيار جيدا وذا ابعاد واقعية وعلى مستوى زمنـي طويل لا تؤثر فيه المواقف السياسية الطارئة .

لو فكرنا بأن الكيلاني اختار شمال افريقيـا فانه لم يستطع ذلك للوجود الفرنسي المتألم من الموقف الالماني خلال الحرب ، والكيلاني لاجيء لالمانيـــا ان لم نقل حليفا لها . وعندما نفكر بمصر التي تعتبر دائما المنطقة الملائمـة للاجئين السياسين والكيلاني كان يفكر بهذا الموضوع ، ولكن الوجود البريطاني الفعال داخل مصر ، وكذلك لان الملك فاروق لم يكن يمثل ثقلا كبيرا في السياسة الداخليــــة .

كما أن سوريا ولبنان تحت النفوذ الفرنسي ايضا ، وشرق الاردن كانت ضمن التحالف البريطاني العراقي فعليه لم يبق في تفكير الكيلاني سوى منطقة الجزيرة العربية والخليج . ولما كانت المملكة العربية السعودية تمثل مركز الثقل السياسي بين امارات ومشايخ الجزيرة العربية فكان اختيار الكيلاني اللجوء اليها الاختيار الصائب لانه عندما نقلب مجمل الاحتمالات نجد انه سينجح في الاختيار واللجوء فمن :

١ ــ الناحية الدولية / ان كان بتاثير بريطانيا بالدرجة الاولى ، والحلفاء بعدها ، فان هذه الدول تعرف جيدا المملكة العربية السعودية والملك عبد العزيز بالذات وكذلك العرف والتقاليد التي تسود هذه المنطقة فانها حتما ستغاضى عن ذلك خاصة وانه قد مر على حركة الكيلاني في العراق اكثر من خمس سنوات فأصبحت بحكم الوثائق . وكان لموقف الملك عبد العزيز الصلب في هذا الموضوع أن اقنع انكلترا بذلك (٥) ويظهر ذلك في اقوال رشيد عالي الكيلاني حيث ان الانكليز عندما يأسوا من محاولة تسليم رشيد عالي الكيلاني لهم اخذوا تعهدا من الملك عبد العزيز بأن يبقيه في المملكة ولا يغادرها (٦) لهذا نرى الكيلاني يغادر بعد وفاة الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ الى مصر حيث لا ارتباط مع ولي عهده .

٢ ــ الموقف العربي : لم يكن الموقف العربي في فترة الاربعينات ، يمثل الثقل ، كما هو في الوقت الحاضر ، هذا بشكل مبدأي ، والامر الثاني انه من المحتمل جدا ان لا يظهر تأثير هذا الالتجاء عكسيا لان الحركة الوطنية في اكثر المناطق العربية كانت تميل الى حركة الكيلاني في العراق وقد نالت تأييد كثير من الحركات السياسية داخل المنطقة العربية . خاصة في الشام ومصر .

٣ ــ يبقى الاشكال الوحيد في هذا الموضوع هو العراق اولا والاردن ثانيا لانهم يمثلون موقف العائلة الهاشمية وان العمل الذي قام به الكيلاني كان موجها ضدها / كما تعتقد / وعليه فان اختيار الكيلاني للسعودية وضعها في اشكال امام العراق بالذات (٧) .

بين العرف العربي والدبلوماسية :

ماذا يمكن ان نفسر تمسك ابن سعود بالكيلاني ؟ كل الجهات التي كانت تمثل الحلفاء والتي اصبحت بعدها جميع الدول التي دخلت هيئة الامم المتحدة واتخذت القرارات السريعة بموقفها ضد المحور واعلان الحرب عليها كورقة مرور للدخول في هيئة الامم المتحدة .. ونقول ان جميعها هي ضد موقف رشيد عالي الكيلاني خلال حركته في العراق ، امريكا ، انكلترا ، فرنسا والدول العربية والعراق صاحب الشأن ... هذه جميعها لا تتفق

مع تواجد الكيلاني في المملكة العربية السعودية ورغم ذلك نجد ان ابن سعود يتمسك بابقائه عنده :

« هل ان التجاء ابن سعود الى العرف العربي وحماية الضيف (والدخيل) هي للتخلص من الموقف المعارض نتيجة الظروف المحيطة بالمملكة داخليا ودوليا ام أن موقفه هذا كان نابعا من العرف السائد في المملكة او في العائلة السعودية والخروج عنه معناه الابتعاد عن الاصالة والتقاليد السائدة . وكما هو معروف ان العرف العربي هو السائد في تلك الفترة في المملكة العربية السعودية في بساطة الحكم وفي استقبال الضيوف وحماية المحتاج والبساطة في العيش .. الخ من القضايا التي كانت تمثل السيرة السعودية خلال تلك الفترة مع محاولة الابتعاد عن الطعن في العرف العربي خاصة وان ابن سعود خلال الفترة التي سبقت ذلك وفترة الحرب الثانية كان قد اصبح دور مؤثر في السياسة العربية والدولية ويحاول ان يرسي في الداخل سياسة ترتكز على الشريعة الاسلامية السمحة وكذلك العرف العربي الذي لا يتناقض مع سابقه في هذا المنوال .

من ذلك نرى ان لجوء الكيلاني الى الملك عبد العزيز سبب له متاعب كان جديدا فالكيلاني سياسي يمثل تيارا معينا لا يتفق مع توجيهات العائلة السعودية وبهذا نرى الموقف الصعب الذي نتج عن ذلك ولكن ابن سعود استطاع بحنكته وصبره في التوفيق بين الاراء المتضاربة ليستقر بعدها الكيلاني في المملكة ولمدة عشر سنوات كان خلالها ضيفا كريما له ولعائلته فقدم ابن سعود بذلك مثلا جديدا في السياسة العربية لا تمثل تعارضا للدبلوماسية بقدر ما تمثل ابتعادا عن القضايا التي كان يسير عليها بعض الحكام الذي كان يمثل الجانب الاخر البعيد عن الروح والكرم والنخوة العربية .

من ذلك نرى ان لجوء الكيلاني الى الملك عبد العزيز سببت له متاعب كان في غنى عنها ولكن الذي حدث اصبح واقعا ليس من الممكن ان يتنصل عنه مادام يعيش الواقع والتقاليد العربية .

ولكن يمكن ان نقول ان ابن سعود استطاع الموازنة بين الدبلوماسية والعرف العربي فهو لم يفرط بأحدهما فقد استطاع بكياسته وهدوئه ان يرضي مجموع الاطراف فقد كانت الدول الكبرى مثلا تعرف طبيعة الحكم في السعودية ودلالته ولهذا فانها غضت النظر او طلبت تعهدا كما حدث لانكلترا التي كانت تريد ارضاء الطرفين العراقي والسعودي (٨) . وهكذا وجدنا مجموع الدول ان كانت اجنبية او عربية او حتى العراق بعد فترة زمنية طويلة ينسى او يتناسى الموضوع مما اكد مقدرة ابن سعود السياسية في توجيه الامور الوجهة الصحيحة

التي كان يراها صائبة . ولا يستطيع التفريط بها كمجاملة لاحدى الدول او خضوعا وانما اكد على العرف والتقاليد العربية التي اصبحت محترمة ومقدرة من مجموع دول العالم كما نرى في الوقت الحاضر .

اختلاف وجهات النظر :

المهم في موضوعنا هذا هو الموقف العراقي او بالتحديد موقف السلطة الحاكمة في العراق ، وقد توضح هذا الموقف من خلال الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز والوصي عبد الاله وكانت البداية هي رسالة الملك عبدالعزيز بعد أن علم جلالته بأن العراق اخذ العلم بلجوء الكيلاني الى المملكة العربية السعودية وكان قد سبق هذه الرسالة مكاتبات رسمية عن طريق القنوات الدبلوماسية في أول الامر ، وحسب قول الوصي عبد الاله انه لم يتأكد من وجود الكيلاني في السعودية الا بعد وصول البرقية الاولى (الرسالة) من الملك ابن سعود اليه .

وتبودلت بين الطرفين سبع رسائل (يدعونها برقيات) وكان ابن سعود يوضح استلامها عن طريق القائم بالاعمال العراقي في جدة .. فكانت اربع رسائل من ابن سعود الى عبد الاله وثلاث رسائل من عبد الاله الى ابن سعود. وقد تم نشر هذه الرسائل في ملف عن حركة ١٩٤١ (كما تسمى حركة رشيد عالي الكيلاني) وسمي بملف الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١ والذي شارك فيه نخبة من المهتمين وعلى راسهم الدكتور فاضل البراك ود. نجم الدين السهروردي وابو احمد وهيئة التحرير وقد نشر في مجلة آفاق عربية العدد ٩ آيار ١٩٧٦ (٩) .

كانت الرسالة الاولى من ابن سعود الى الوصي عبد الاله تدور حول نقطين اساسيتين هما :

١ ـ العفو عن الكيلاني .

٢ ـ سرية المكالمات .

فقد وضع ابن سعود في مقدمة رسالته مدى اتفاقه مع عبد الاله في عدم مجاراة او الاتفاق مع حركة ١٩٤١ وقد اكد له ذلك وأرجعه الى المخاطبات التي جرت سابقا بين رشيد عالي الكيلاني وابن سعود حول الموضوع في حينه أي فترة ١٩٤١ . ومعنى ذلك ان ابن سعود اعطى هذه المقدمة ليبرهن على انه لا يتفق مع ما حدث ولكنه كان يريد ان يطرح ما بعدها ويحاول ان يأخذ الموافقة على طروحاته فوضح ان التجاء رشيد على الكيلاني الى المملكة بدون معرفة سابقة لان الكيلاني باء متخفيا على انه سوري مع مجموعة من

السوريين ربما ان رشيد (لجأ الى حارمكم وعيلاتكم) هذا ما جاء في نص رسالة ابن سعود كتبريد للجوء . لهذا فان ابن سعود يطلب من عبدالاله (يرجو من الله ثم منكم ان تشفع له عند سموكم بالعفو وان يكون بعد ذلك تحت ظلكم وحمايتكم لهذا فان اخاكم يرجو عفوكم عنه وشموله بمكاركم) وقد اعتبر ابن سعود هذا الطلب (من الشيم التي تقتضيها الروح الدينية) وفي نهاية رسالة ابن سعود وضع اهمية بقاء هذه المكاتبات على سريتها (حتى لا تتداولها الصحف والاذاعات في الوقت الحاضر) (١٠) .

وفي**الرسالة الثانية** يتضح مدى الفارق في التفكير والتوقعات بين الاثنين ففي الوقت الذي كتب فيه ابن سعود رسالته الاولى موضحا جيدا ما يرتأ به من استيعاب لهذه القضية نرى ان الوصي عبدالاله ينظر للموضوع من زاوية معينة فالحادثة لا زالت تعيش في ذهنه وينظر لها من خلفيات التهديد الذي صاحب حركة ١٩٤١ والتي كادت تودي به وبالعرش الهاشمي ورغم مرور اكثر من اربع سنوات على هذه الحادثة الا انه ومن رسالته فانها تبدو في حرارتها .. ويبدو ذلك من بداية الرسالة حيث يقول مخاطبا ابن سعود :

« ان من اعظم المزايا التي تعجنبي في جلالتكم اخذ المفسدين بالقوة فكيف من اراد ان يفسد كيان القوة العربية والاستقلال العربي الذي سعي بيتينا في احيائهما السعي الكبير » . واستمر عبد الاله محاولا ايجاد نقاط معينة يوضح من خلالها مدى الايواء غير القانوني والشرعي الذي يشمل لجوء الكيلاني عنده نوضحها في النقاط التالية :

اولا : يقول الوصي ان هذا الايواء (يتنافى وايواء من اراد بأبناء قومكم واصدقائكم السوء) وانه لا يتفق مع الشهامة العربية . في حين نرى ان هذا الايواء هو اساسه الشهامة العربية ولكن النظرة تختلف بين الاثنين حول القضية .

ثانيا : ولا يتفق ايضا مع ميثاق الامم المتحدة « فانه صريح فيما يختص بايواء مجرمي الحرب لدى الامم المتحدة » .

هنا نطرح سؤالا .. هل ان رشيد عالي الكيلاني من مجرمي الحرب؟ انه كان ضمن القيادة التي تحركت داخل العراق ضد السيطرة البريطانية كما ان العراق لم يكن ساحة للحرب كما انه ايضا ـ أي العراق ـ لم يشترك كطرف في الحرب العالمية الثانية .

ثالثا : ولايتفق مع اتفاقية تسليم المجرمين السياسيين بين شعبينا وفي الحقيقة ان جميع الاتفاقات المعقودة بين الطرفين بدأ من اتفاقية مكة ١٩٣١ وحتى محضر الاتفاق بين العراق والرياض في نيسان ١٩٤٠ لم يعط أي دلالة

على ذلك بل بالعكس فان اتفاقية مكة ١٩٣١ في مادتها الثالثة تقول بعـــدم تسليم المجرمين السياسيين (١١) .

وهذه النقاط الثلاثة السابقة فهي توجب ـ براي الوصي عبد الاله تسليم السياسي الذي هو رشيد عالي الكيلاني .

ـ اما الجانب الاخر من الرسالة فهو يحاول بقاء الكيلاني في المملكـــة العربية السعودية فانه يؤدي براي الوصي :

« يحيي ما اندثر من الاحقاد بين ابناء الشعب العراقي » وكان هذا تصورا لا خلفه له فبالعكس فان رشيد في نظر الشعب العراقي كان رمزا لحركة ١٩٤١ وليس من الممكن ولهذا السبب ان يقف الشعب العراقي موقفا معاديا ـ ويمكن ان نقول العكس لو ان المملكة العربية السعودية وقفت غير هذا الموقف ـ اي انها سلمت الكيلاني للعــراق ـ لكان هناك احتمال كبير في موقف معاد مـــن الشعب العراقي .

ـ وقد جاء في رسالة الوصي (تضحية الفرد في سبيل المجموع من اسس التفاهم والتقــارب بين الشعوب) كان الصي يتصور ان مصير رشيد عالي الكيلاني واعدامه فان الكيلاني ليس فردا كبقية الافراد ، لا ارمي من ذلك ميزات شخصية له ولكن الاحداث التي وقعت افرزت الكيلاني كشخصية قائدة للحركة وقد سميت الحركة باسمه . كما ان هذا الفرد الكيلاني ـ اصبح الان في معية شخصية تعطي للعرف والتقاليد اهمية كبيرة وهي ـ ابن سعود ـ فليس من الممكن التفريط بذلك من اجل راحة الوصي عبد الاله ، خاصة وان رشيد كان الورقة الاخيرة التي يطلبها الوصي بعد ان نفذ اعداماته في مجمـوع قادة حركة مايس ١٩٤١ الذين استطاع القبض عليهم (١٢) .

وفي نهاية رسالته يورد عبد الاله :

١ ـ انه يعتذر عن التجـاوب فيما طلب ابن سعود .

٢ ـ ويطلب ايضا (عدم ايواء المذكور في بلاد الاخ) .

وفي الرسالة الثالثة :

من ابن سعود الى الوصي عبد الاله يظهر لنا اهمية العرف والتقاليـــد في نظرة ابن سعود للامور فقد اكد عليها في مجمل رسالته . فقد واصل اول الامر طروحاته السابقة فاضافة الى انه كان مقتنعا بما جاء في رسالة الوصي ومتفقا معه على كثير من القضايا الا ان جانب العرف والتقاليـد ـ كمـــا ذكرت ـ يبقى قويا في نظر ابن سعود ولهذا تراه يحاول ثانية وثالثة من اجل الوصول ولو الى منتصف الطريق من اجل ان تبقى علاقته جيدة مع العراق

شعبا وحكومة وان تبقى الملاقـات العائلية جيدة خاصة وان الجـو ملبـدا بين العائلتين لفترات طويلة .

فبعد ان يعترف ابن سعود بان المسألة هذه (عظيمة وكبيرة وثقيلة ولكن عظمتكم وجنابتكم وحرصكم على شرف حزبكم وعضدكم العرب تجعلنا نرجو ونؤمل ان لا ينقطع املنا ورجانا منكم) .

وثانيا : وهذه نقطة مهمة في نظر ابن سعود ما هو موقف العائلة وابن سعود امام السعوديين والعـرب والعالم في حال تسليمهم الكيلاني من وجهة نظره الخاص ــ أي ابن سعود ــ وليس من وجهة القانون الدولي :

« اخي ما وجه اخيكم عند العالم وما نظره الذي ينظر الناس وما يكون مقام اخيكم عند سموكم اذا حدث امرين :

أولا : ان مقامه ما صار شيء في رجائه .
ثانيا : في تسليم رجل ضرب البر والبحر وصار في وسط محارمكم فماذا تكون العين التي انظر بها الناس » ان هذا العمل (سيلحق عارها باخر رجـــل من عائلتنا) (١٣) .

وفي نهاية الرسالة كرر ابن سعود مطالبه السابقة .

١ ــ ارجو سماحكم والعفو عنه حتى تنالون بذلك الشرف العظيم .

٢ ــ او انني اطلق سراحه ويضرب الطريق الذي هو يريد فالاول هــو احب وهو عفوكم والثاني مالي مندوحة عنه وانا منتظر جواب سموكم) .
وقد كان تاريخ هذه الرسالة في ٧ ذي القعدة ١٩٦٤ (١٤) .

وفي الرسالة الرابعة :

من عبد الاله الى سعود والتي كانت في محتواها تتضمن من الطمن والتشكك الشيء الكثير ليس فقط على الكيلاني نفسه وانما الذي يؤويه ايضا ولهذا نرى جواب هذه الرسالة كان شديدا ايضا .

فقد حاول الوصي عبد الاله في بداية رسالته اقناع ابن سعود بانه يعمل جاهدا في هذه القضـية لانها تهم البلد الذي يحكمه فهو وصي على العـرش ومسؤول من الناحية الثانية عن (دولة مقيدة بدستور وقوانين) على اعتبار ان هذه القضـية ليست قضية شخصية وانما قضية تهم امن البلاد واستقرارها ولهذا فهو يضيف « ان ما اشتهر به جلالة اخي المعظم من اهتمامه باحكـــام الدين والتزامه جانب الحق يجعلني اومل من جلالته ان يعالج قضية رشيد من وجهها الاخر) .

اي ان ينظر لها ابن سعود على انها امور تتعلق برجل مجرم يطالب بتسليمه لا موضوع يتعلق بعرف وتقاليد ولجوء شخص وطلب الحماية .

بعدئذ يتحول الوصي في هجومه على شخصية رشيد عالي الكيلاني ويناقض نفسه في التعريف بهذه الشخصية فيذكر أو (انه كان دائما عبدا لمطامعه وعدوا لبلاده وقد رفعته الظروف من الحضيض باستناده الى ظرف شاذ او فتنة عمياء او عضد خارجي) ويضيف بعدئذ في نفس الرسالة الراي الثاني المناقض (انه حقوقي يفهم مغبة انتهاك حرمة القانون وخرق المعاهدات) (١٥) .

وكانت عبارات الوصي عبد الاله في رسالته الرابعة التي اثارت ابن سعود والتي تتعلق بالعهود والاتفاقات والذي يقراها لا يدري هل هي مقصود ام مغلقة ولكنها مع ذلك فقد اثارت ابن سعود « ان تسليمكم المجرم » .. (يجيء برهانا قاطعا على حرص جلالتكم على تنفيذ المعاهدات واحترام توقيع جلالتكم عليها وبذلك تزدادون شرفا على شرف) ويضيف ... « وقد اتفق الشرع والعرف على تعظيم حرمة العهود والحث على الابقاء بها » وانكم (حاولتم مساعدة الرجل متخطين في سبيل ذلك الاعتبارات الانفة الذكر) .

هذا هو الخلاف في التفكير بين الاثنين بين تفكير التجأ اليه ابن سعود والوصي عبد الاله فالاول محرج بوجود شخص التجأ اليه ويطلب حمايته والثاني ينظر للموضوع من زاوية واحدة هي اطفاء حقده وتسليم الكيلاني له لكي يقدمه للاعدام ويريح نفسه ويريح حلفائه . كما ان الوصي يعتبر ان قضية رشيد هي قضية اعتيادية لا تحتاج الى مثل هذا الجهد :

« القضايا العديدة التي برهنا فيها على عظيم احترامنا لهذا المقام وتلبيتنا لرغباته في اهم وادق من قضية رشيد لا تدع مجالا للعتب فيما اذا تعذرت علينا تلبية الرغبة في قضية اعتيادية كهذه) .

واخيرا وفي النهاية الرسالة يرد الوصي على تساؤلات ابن سعود في نقطتين :

« اولا : العفو عن الرجل خارج عن مقدورنا » .

« ثانيا : ان اطلاق سراحه ليضرب الطريق الذي يريده هو نقض صريح للمادة الثالثة من معاهدة تسليم المجرمين » .

وفي الحقيقة فان المادة الثالثة من المعاهدة تستثني بالذات المجرمين السياسيين ورشيد سياسي وعليه فان الوصي كان يحاول بشتى الطرق في ان يفسر المواثيق والعهود بما يناسبه ويؤيد فكرته .

وهكذا وجدنا هذه الرسالة ليس فيها اية مرونة سياسية لان ابن سعود يريد ان تكون الحلول من بين الاطراف العليا في الدولتين اي فرق المعاهدات والقوانين .

ويخرج الوصي اخيرا (انني التمس المعذرة من جلالة الاخ عن عدم تمكين من تغيير وجهة نظرا في ضرورة تسليم المجرم) ويضيف « كما ان اطلاق سراحه سابقة خطرة وبادرة سيئة لن يكون لها اثر الحسن في علاقات الصداقة والاخوة » وبهذه الخاتمة حاصر عبد الاله الملك ابن سعود من كل الجهات ولم يدع له فرصة التفاهم فوصلوا الى طريق مغلق ولهذا فان التطورات القادمة في الرسائل المقبلة تحمل اكثر من ذلك (١٦) .

وكانت **الرسالة الخامسة** من ابن سعود الى عبد الاله فيها نوع من الحدة الهادفة ولهذا نستطيع ان نعتبر الاسلوب الذي كتبت به الرسالة شديدا نوعا ما نعرف ان المخاطبة تمت بين رئيسي الدولتين .

وقد عرض الملك عبد العزيز في اول الرسالة القضايا التي اثارها الوصي عبد الاله في رسالته (الرابعة) على شكل نقاط ثلاث وتدور حول المعاهدة وتسليم المجرمين وان الكيلاني من مجرمي الحرب وعلاقة ذلك بالامم المتحدة والنقطة الاخيرة حول تلبية بعض الرغبات التي هي (اهم وادق من قضية رشيد) وكان رد ابن سعود عليها بنقاط خمسة :

اولا : في البداية وضح ابن سعود موقفه المبداي من حركة ١٩٤١ واستنكاره لها كما اشار الى ذلك ايضا في نهاية الرسالة حول ان السفير البريطاني في جدة Bind على علم بالمكاتبات حول هذا الموضوع وكان Bind في فترة ١٩٤٥ سفيرا لبريطانيا في بغداد (١٧) .

ثانيا : اما بالنسبة للمعاهدة فكان ابن سعود يعتبر طلب الوصي عبد الاله حول تسليم المجرمين (ما هي الا زيادة عن المعاهدة) وقد ناقشت هذا الموضوع اثناء بحث ذلك في الرسالة الرابعة وقلت بان المعاهدة لا تتضمن بتسليم المجرمين السياسيين :

ويضيف ابن سعود في نهاية مناقشته لهذه الفقرة :

« لقد كنت متأكدا من حل الموضوع دون الرجوع الى دواير الحكومتين وبحث المحاكم فيها ولا ازال ارجو الوصول لذلك الحل دون الرجوع لتلك المناقشات »أي كما ذكرت ذلك سابقا ان يحل الموضوع بينهما كرئيس الدولتين .

ثالثا : وحول موضوع هل ان الكيلاني من مجرمي الحرب وعلاقة ذلك بالامم المتحدة فقد رد ابن سعود على ذلك .

« ان مسألة مجرمي الحرب هي بيننا وبين الامم المتحدة » .

رابعا : وحول تلبية الرغبات فقد اشار ابن سعود في معرض رده :

« اننا لا نذكر حادثا من هذا القبيل كان ادق من مسألة رشيد عالي او قريبا منها » .

خامسا : اما بالنسبة الى نقطة اطلاق سراح رشيد عالي الكيلاني فقد ذكر ابن سعود « وان كنت لا اريد اطلاق سراحه الا انني ما احب ان يبقى عندنا كي لا يسبب وجوده تعكير صفو العلاقات الحسنة السائدة بين بلدينا وعلى كل فالرأي لكم في هذا الشأن أن احببتم ان نبقيه او نطلق سراحه » وفي نهاية الرسالة وضح ابن سعود .

(انني لا احب ان يكون بيني وبين سموكم والعراق اي خلاف يؤثر في حسم العلاقات السائدة بيننا ولكن لما آل الامر الى القول بنكث العهود ونقض المعاهدات منا في قضايا كبيرة شق علينا ذلك وراينا من اللازم أن ندافع عن انفسنا وعن تهمة نقضنا للمعاهدة ونكثنا للعهود ونوضح لسموكم حقيقة الواقع) .

وهذه الفقرة هي في مجملها توضيح مدى تألم ابن سعود من رسالة عبد الاله السابقة ويختتم ابن سعود رسالته « أما اعتذار سموكم عن عدم موافقتكم على اجابة رغبتنا بالصفح عن رشيد عالي الذي ما تقدمنا لسموكم وطلبنا ذلك الا نظرا للصداقة التي تربطنا والعروبة التي تجمعنا فاذا قبلتم رجائنا فهذا هو المأمول من سموكم ونحن نشكركم على ذلك واذا لم توافقوا فانا صديقكم على الدوام » (١٨) .

جاء الرد في الرسالة السادسة من عبد الاله الى الملك عبد العزيز يتضح من مقدمتها احساس الوصي بمدى التألم الذي كان فيه ابن سعود عندما كتب رسالته السابقة (نرى من واجبنا ان نعرف عن مزيد تألمنا للتأثير الذي لمسناه في برقية جلالتكم) ويضيف الوصي مخاطبا ابن سعود (لقد طلبتم منا اما العفو عنه او اطلاق سراحه وقد ابرقنا الى جلالتكم موضحين راينا وكانت برقيتنا واضحة وليس فيها ما يوجب التأثر اذ لم يكن قد وقع شيء من الخطأ في نقل البرقية) .

ويبدأ الوصي بعدئذ يذكر النقاط السابقة البحث مرة ثانية وبنفس التفسير محاولا ان يتفادى ما وقع من سوء تفاهم بين الاثنين حول الموضوع وكانت الرسالة تتألف من ست نقاط وهي اطول الرسائل السبع التي تبودلت بين الطرفين على أن فيها تكرارا لما جاء في الرسائل السابقة التي كتبها الوصي عبد الاله الى الملك عبد العزيز . الا ان هناك نقطة واحدة جديدة في هذه الرسالة وهي ان الوصي عبد الاله ارجع اثناء تكلمه عن الخلافات التي حدثت بين الطرفين او سوء التفاهم الذي حدث (ان يكون شؤم رشيد الذي اعتاد ان يلازم حركاته وسكناته قد تلمس سبيله الى هذه القضية) ويقيه (ان رشيد مشؤم الطلعة كما لا يخفي ولكننا لن نفصح المجال لسريان شؤمه) .

واظن ان هذا التحليل لا يأتي من رئيس دولة يعتمد بانه يسير البلد

حسب قوانين واعراف موضوعة والذي اظنه ان هذا المخرج الضعيف من قبل الوصي كان نتيجة للاحراج الذي اوقعه فيه الملك عبد العزيز .

وفي النقطة الخامسة من الرسالة يتناول ايضا الوصي عبد الاله شخصية الكيلاني بالتقريع والذم ويروي تاريخ حياته بتناول الجوانب السلبية في شخصيته ان كان في الفترة العثمانية وكذلك فترة الحكم الوطني .

(ـ اعان الاتحاديين على كبح الروح الوطنية في العراق .

ـ انه خدم حكومة الاحتلال البريطاني بينما قاطعها معظم الوطنية .

ـ يستعمل طريقة الفتن والدسائس .

ـ لا يأتي للمنصب الا عن طريق الدم والنار ولا يغادره الا كذلك .

ـ اقحم الجيش العراقي بالسياسة .

ـ نقل ويلات الحرب للبلاد .

ـ فر خارج البلاد تاركا رفقاءه وبلاده للمصير المظلم .

ويضيف الوصي (هذا هو رشيد عالي يا صاحب الجلالة وتلك هي سيرته واعماله تضاف اليه الاساليب الدنيئة والاقوال البذيئة التي لجأ اليها ضد **مقام العرش وضد شخص اخيكم** فاذا اتسع العفو لمثل هذا المجرم فلمن فرض القصاص وعلى من يطبق (١٩) .

وفي النقطة الاخيرة اي السادسة .

(بناء على ما تقدم تكرار اعتذارنا لجلالة الاخ عن عدم تمكنا من تلبية طلب جلالتكم بشأن المجرم ونؤكد لجلالته عظيم امتناننا وتقديرنا للمواقف المجيدة التي عودنا وقوفها في سبيل توثيق صلات الود والاخوة بيننا) .

وهكذا نرى ان تركيز الوصي على الناحية الشخصية في حقده على الكيلاني وضحت بصورة جلية في هذه الرسالة عندما اثار الوصي الى أن عمل رشيد موجه ضد العائلة الهاشمية او شخص الوصي نفسه في حين كان الموقف الاخر اي موقف الملك عبد العزيز يؤكد على العفو عند المقدرة (٢٠) .

اما الرسالة السابعة والاخيرة من ابن سعود الى عبد الاله فقد كانت النتيجة النهائية لما تعب الطرفان من التوصل الى نوع من الاتفاق حول حل الموضوع وعندما فشلت كل الجهود في أن يصل ابن سعود الى حل مرض للمشكلة عادوا بعدها الى القنوات الدبلوماسية مثلما كانت عليه قبل ان يتناول الاثنان الرسائل المارة الذكر .

وقد وضح ابن سعود في رسالته هذه مدى اختلاف وجهات النظر في تفسير الامور .

(ولكننا لاحظنا ان قضية تسليم المجرمين تعتروها مشكلات مادية وعلمية وترافقها اصول واحكاة لا يمكن تخطيها من حيث شمول احكام

المعاهدة او عدم شمولها وكون المجرم سياسيا او غير سياسي) .

وبذلك كان يقصد ابن سعود ان هذه القضايا تحتاج الى نوع من التحقيق الذي يمكن ان تقوم به لجان من الحكومتين حتى يمكن الخروج برأي معين واضح .

ورجع ابن سعود ثانية ليؤكد طروحاته السابقة (اننا نرغب في العمل على حل المشكلة بالروح التي تسمو بكلينا عن مستوى النصوص اللفظية القابلة للتفسير والتأويل . وفي جو الوداد الاخوي والاخلاص المتبادل) .

وفي نهاية الرسالة يتوصل ابن سعود الى ما يريده ايضا الوصي عبد الاله .

(اما الان وقد اشعرنا سمو الاخ بان حل القضية فيما بيننا متعذر بسبب الاوضاع والاشكال القانونية والدستورية في العراق واعلن عن رغبته في ترك المراجعات في ذلك الامر الى حكومتينا طبقا لاحكام المعاهدات القائمة بين البلادين فانه لا يسعنا الا النزول عند رغبة سموه مع الاعراب عن اسفنا لعدم حصول ما كنا نصبو اليه ونتمناه) (٢١) .

وهكذا اغلقت القضية على هذا المستوى وبدات المكاتبات بين الطرفين عن طريق القنوات الدبلوماسية كما ذكرت سابقا ولكنها لم تؤدي الى نتيجة وانما الزمن هو الذي عفى عليها تدريجيا لتصبح بحكم الوثائق ويبقى الكيلاني في السعودية مدة عشر سنوات وبعد وفاة الملك عبد العزيز يغادر الكيلاني الى مصر بعد ثورتها سنة ١٩٥٢ بسنتين اي في ١٩٥٤ ويبقى فيها اربع سنوات ليعود الى وطنه العراق ثانية ١٩٥٨ م .

خاتمة :

وهكذا وجدنا الفارق في التفكير والتفسير والمعالجة بين الوصي عبد الاله وبين الملك عبد العزيز في النظر الى الامور وفي معالجة المشكلة التي نتجت عن لجوء الكيلاني الى بلاط الملك عبد العزيز .

وكان الوصي عبد الاله ينظر الى الكيلاني انه مجرم عادي اجرم بحق البلد وحوكم غيابيا وصدرت احكام بحقه فهو يريد ان يطبق الدستور والقوانين

وينظر ابن سعود الى مشكلة رشيد من زاوية العرف والتقاليد التي اكدت نفسها في السياسة السعودية والتي كانت واضحة من خلال الرسائل المتبادلة بين الاثنين .

ولكن يمكن ان نرجع ونقول ان ابن سعود استطاع الموازنة بين الدبلوماسية والعرف العربي في معالجته لهذا الموضوع ولم يبق متأثرا من هذا الحل الا العراق وسلطته الحاكمة فقط في حين أن بقية الدول عربية كانت ام اجنبية كانت تنظر للموضوع من زاوية مراعاة الحكم السعودي في نظرته الخاصة للقضية منطلقة من العرف والتقاليد السائدة في المملكة العربية السعودية . .

مصـــادر البحث :

(١) الاتفاقات التي عقدت بين الجانبين :

أ ــ اتفاقية المحمرة ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م .

وكذلك البروتكولين المرفقين مع هذه الاتفاقية .

ب ــ اتفاقية ١٩٤٤ هـ / ١٩٢٥ م .

ج ــ مفاوضات جـــدة ١٩٢٨ م .

د ــ اتفاقية البارجة لوبين بين الملك فيصل والملك عبد العزيز ١٩٣٠ .

هـ ــ اتفاقية مكة ١٩٣١ بعد زيارة نوري السعيد رئيس الوزراء .

وقد تم التوقيع على الاتفاقات معاهدة حسن الجوار .

بروتوكول تحكيم اتفاقية

تبادل تسليم المجرمين .

و ــ معاهدة الاخوة ١٩٣٦ وتوقيع حلف بين الطرفين .

ز ــ محضر بين العراق والرياض ــ نيسان ١٩٤٠ .

(٢) محكمة الشعب : الجزء الخامس / ص ٢٠١ بنداد ١٩٥٩ محاكمات المحكمة العسكرية العليا / المحاضر الرسمية للجلســات التي عقدتها المحكمة وما تسمى بمحكمة المهداوي) .

ــ وقد ذكر ذلك ايضا / عبد الله فيلبي في كتابه ص ١٩٤ .

ان ضابط الاستخبارات الامريكية والفرنسية والانكليزية ساعدوه في الهرب . وقد سأل عبد الرزاق الحسني رشيد عالي الكيلاني حول الموضوع وقد رد عليه هذا الاخير برسالة يصف له كيف انتقل من منطقة الى اخرى حتى وصل السعودية واتكر كل ما قيل عنه في هذا الموضوع .

راجع / عبو الرازق الحسني / الاسرار الخفية في حركة ١٩٤١ التحررية ص ٣٠٣ وقد دون الحسني نص الرسالة في صفحة ٣٠٣ والمؤرخة في ١٩٦٤/٦/١٥ .

* يقول الدكتور مجيد خدوري ان الباسبورت الذي كان يحمله رشيد باسم عبد القـــادر الميـــداني .

راجـع

ــ اما الاستاذ امين سعيد فيروي عن لسان رشيد عالي الكيلاني الذي التقاه في دمشـــق بعد ثورة العراق ١٩٥٨ .

وقد ذكر له في صفحة ٤٦٨ (ان فتاة فرنسية اضافت اسما مستعارا سمتني به) ولم يذكر اكثر من ذلك .

ولكنه يضيف بعد ذلك في ص ٤٦٩ انه وهو في سوريا حصل على بطاقة جنسية سورية قد يؤدي الى حرب ولكن ما كان لي بحال من الاحوال قد قابلتني = ــ والتجأت الى الا ان تشهد بانه مواطن سوري من دير الزور وان اسمه احمد عبد القـــادر .

راجع / امين سعيد تاريخ الدولة السعودية .

مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز رقم ٩ طبعـــة منقحة .

(٣) محكمة الشعب / المصدر السابق الجزء الخـامس ص ١٩٨ .

ــ ويقول د. مجيد خدوري / في كتابه العراق المستقبل ص ٢٤٢ أن سفرة الكيلاني الى السعودية استغرقت ١٧ يوما في الصحـراء .

ــ كذلك راجع امين سعيد / تاريخ الدولة السعودية ص ٤٦٧ ــ ٤٦٩ .

(٤) احمد فوزي / ١٢ رئيس وزراء / بغداد ١٩٨٤ ص ١٣٤ .

ــ كذلك انظر امين سعيد / تاريخ الدولة السعودية ص ٤٧٠ ــ ٤٧٧ .

(٥) المصـــدر الســـابق / احمد فوزي ١٣٥ .
قال الملك عبد العزيز لبريطانيا :
« اعلنوا الحرب اذا شئتم – ويوم ان يفنى جيش سآخذ رشيد معي وادخل الـى
ملف الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١ ص ٩٤ – ١٦٠ .
(٦) محكمة الشعب / الجزء الخامس ص ١٩٩ .
(٧) احمـد فوزي / المصدر الســابق ص ١٣٥ .
قال ابن سعود اثناء دخول رشيد عليه :
« يا رشيد انا اعلم تماما ما سينجم عن هذا من توتر في العـــلاقات بيننا وبين العراق ،
(٨) راجع هامش رقم ٢٦١ .
(٩) آفاق عربية / العدد ٩ ايار ١٩٧٦ .
(١٠) راجع نص الرسالة في / آفاق عربية العـــدد ٩ ص ١١٧ .
(١١) عبد الرازق الحسني / تاريخ الوزارات العراقية الجزء الثالث ص ١١٩ معاهـــدة تسليم المجرمين لسنة ١٩٣١ .
مادة ٣ : لا يسمح بتسليم المجرمين الســياسيين – اما الجرائم التي يجب تسليم المجرمين فيها (ولا تعتبر من الجرائم السياسية) فهي قطع الطريق او السرقة او السلب او النهب او القتـــل .
جوف الصحـــراء ولن اسلمه ما دام في عرق ينبض ونفس يتردد » .
– كذلك انظر امين / المصدر الســـابق ص : ٤٧١ في روايته للمقابلة التي دارت بين بولارد والملك عبد العزيز .
(١٢) نفذ حكم الاعـــدام في :
١٩٤٢/٥/٥ ب يونس السبعاوي ، محمود سلمان ، فهمي سعيد .
١٩٤٤/٨/٢٠ ب كامل شبيب .
١٩٤٥/١٠/١٦ ب صلاح الدين الصباغ .
كما ان حكم الاعدام قد صدر غيابيا في رشيد عالي الكيلاني بتاريخ ١٩٤٢/١/٦ .
(١٣) عبد الرزاق الحسني / تاريخ الوزارات العراقيـــة ج ٦ ص ٧٢ « وقد صرح الملك عبد العزيز بانه يفضل تسلم اثنين من اولاده الى العراق ليجري اعدامهما علنا بدلا من ان يسلم السيد الكيلاني لان التقاليـــد العربية تأبى عليه القيام بمثل هذا العمـــل » .
(١٤) راجع نص الرسالة في :
آفاق عربية / العدد ١٩٧٦٩ ص ١١٧ .
(١٥) جاء في التقرير البريطاني عن الشخصيات العراقية لسنة ١٩٣٦ .
اؤمنك وان اذود عنك » .
تحت رقم ٦٩ رشيد بن سيد عبد الوهـــاب / المعروف رشيد عالي الكيلاني / من بغداد تربطه صلة قرابة (ليست وثيقة) بالنقيب في عهد الاتراك – كان رئيس كتـــاب (باشكاتب) في دائرة الاوقاف ، عضو قوي في جمعية الاتحـاد والترقي – غير محبوب من قبل عائلة النقيب ، هرب الى الموصل مع الاتراك على اثر احتلال بغداد ، وبعد سقوط الموصل عين مديرا للاوقاف تحت الادارة البريطانية . مارس المحاماة وفي مارس ١٩٢١ عين حاكما في محكمة التمييز . اصبح استاذا في كليـــة الحقوق بغداد . عمل كحاكم ونـال تقدير المستشارين البريطانيين . عين وزيرا للعدالية في وزارة ياسين الهاشمي ١٩٢٤ – استقال على اثر توقيع امتياز شركة النفط التركية في مايس ١٩٢٥ التي عارضها بقوة بوحي من

ياسين الهاشمي . اصبح وزيرا للداخلية في وزارة عبد المحســـن السعدون الثانية ١٩٢٥ ولكنه استقال مباشرة على اثر انتخابه رئيســا للمجلس النيابي من تشرين الثاني ١٩٢٦ الى كانون الاول ١٩٢٨ عندما اصبح وزيرا للداخليــة . اعيد انتخابه لمجلس النواب في الانتخابات العـامة لسنة ١٩٣٠ ولكنه استقال في اذار ١٩٣١ مع ياسين الهاشمي وناجي السويدي وعلي جودت احتجاجا على تصرفات حكومة نوري السعيد . اصبح من زعماء حزب الاخاء الوطني البارزين . شجع على الاضراب العام ١٩٣١ بقصد احراج وزارة نوري السعيد عين رئيسا للديوان الملكي في تموز ١٩٣٢ ثم اصبح رئيسا للوزارة ١٩٣٣ . واستقال في تشرين الاول ١٩٣٣ ، عين عضوا في مجلس الاعيان في صيف ١٩٣٤ . ساهم في تنظيم اضطرابات الفرت الاوسط الي اجبرت علي جودت على الاستقالة من وزارته في آذار ١٩٣٥ واشتراكه في الوزارة التي الفها ياسين الهاشمي بعد ذلك كوزير للداخلية . انظر : نجدة فتحي صفوت / الوثائق البريطانية عن العراق .

١٩٣٦ ص ٧٤ .

(١٦) راجع نص الرسالة في آفاق عربية ص ١١٨ .

(١٧) حول هذا الموضوع من الممكن الرجوع الى الوثائق البريطانية التالية :

(١٨) راجع نص الرسالة في آفاق عربية العدد ٩ ١٩٧٦ ص ١١٨ ، ١١٩ .

(١٩) يمكن مقارنة هذا الراي البريطاني الموجود في هامش رقم (١٥) .

(٢٠) راجع نص الرسالة في آفاق عربية العدد السابق ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢١) راجع نص الرسالة في آفاق عربية العدد السابق ص ١٢١ .

وثائــق

تبدأ مجلة الجمعية اعتبارا من هذا العدد نشر الخطط العلمية / اقسام التاريخ في جامعات الوطن العربي حسب وصولها الى المجلة .

ويسر المجلة ان تقدم في هذا العدد وثائق اقسام التاريــــخ في جامعــة اليرموك ، والجامعة الاردنية مع دعوة للمناقشة وترسل المقترحات على عنوان الجمعية (بغداد ، ص . ب ٢٧٠٨٩) شارع ١٤ رمضان .

خطة الدراسة في قسم التاريخ / كلية الاداب
جامعـة اليرمـوك

اولا : متطلبات الكلية

١٣١٠١	مدخل لتاريخ الحضارة	متطلب كلية اجباري
١٤١٠٢	فلسطين والاردن في العصور القديمة	اختيار احدى هاتين المادتين
١٦١٠١	تاريخ الفكر العربي	للتخصص في القسم

ثانيا : المواد الاجبارية لمختلف التخصصات :

الرقـم	المـادة	التخصص المنفرد	التخصص الرئيسي	التخصص الفرعي
١٣٢١١	تاريخ الشرق القديم	٣	٣	—
١٣٢١٢	تاريخ اليونان والرومان	٣	—	—
١٣٢٢١	تاريخ العرب قبل الاسلام وعصـر الرسول	٣	٣	—
١٣٢٢٢	تاريخ صدر الاسلام (الراشدون والامويون	٣	٣	٣
١٣٢٢٣	تاريخ الخلافة العباسية حتى اوائل القرن الرابع هـ	٣	٣	٣
١٣٢٢٤	الشرق الاسلامي (الرابـع هـ ــ الخامس هـ)	٣	—	—
١٣٢٢٥	تاريخ المغرب والاندلس	٣	٣	—
١٣٢٢٦	تاريخ العالم الاسلامي (الخامسهـ ــ السابع هـ)	٣	٣	—
١٣٢٢٧	تاريخ العالم الاسلامي (السابعهـــ الحادي عشر هـ)	٣	—	—
١٣٢٤١	تاريخ العرب الحديث	٣	٣	—
١٣٢٤٢	تاريخ العرب المعاصر	٣	—	—
١٣٢٥١	تاريخ العالم الحديث	٣	٣	—

١٣٢٥٢	تاريخ العالم المعاصر		٣	—	—
١٣٢٥٣	منهج بحث		٣	٣	—
١٣٣٤١	الدولة العثمانية		٣	٣	—
١٣٤٢٣	غزو الفرنجة (الصليبيين)		٣	—	—
١٣٤٢٧	النظم الاسلامية		٣	٣	٣
١٣٤٤٨	تاريخ الاردن الحديث		٣	٣	—
١٣٤٩١	الرسالة		٣	٣	—
١٣٢٣٠	التاريخ الساساني والبيزنطي		٣	—	—
او					
١٣٤٢٢	المماليك	٣	—	—	—
			٦٠	٣٩	٩
			المجمـوع		

ثالثا : المواد الاختيارية وهي :

١ ــ (تسعة) مواد اي (٢٧) ساعة معتمدة للتخصص المنفرد منها (٥) مواد من مواد « التاريخ الإسلامي » التالية :
(١٣٢٣٠ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٢٣ ، ١٣٣٣٤ ، ١٣٣٢٥ ، ١٣٣٢٦ ، ١٣٤٢٠ ، ١٣٤٢٢ ، ١٣٤٢٤ ، ١٣٤٢٥) .

٢ ــ سبعة مواد اي (٢١) ساعة معتمدة للتخصص الرئيسي منها (اربع) مواد (١٢) ساعة يختارها الطالب من المواد التالية :
(١٣٢٢٤ ، ١٣٢٢٧ ، ١٣٢٢ ، ١٣٣٢٣ ، ١٣٣٢٤ ، ١٣٣٢٥ ، ١٣٣٢٦ ، ١٣٤٢٠ ، ١٣٤٢٢ ، ١٣٤٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٤٢٥) .

٣ ــ اربعة مواد اي (١٢) ساعة معتمدة يختارها الطالب من المواد الاجباريـة للتخصصين المنفرد والرئيسي والمواد الاختيارية التالية :

رقم المادة	المواد الاختيارية	عـــدد الساعات المعتمدة
١٣٢٣١	تاريخ اوروبا في العصور الوسطى	٣
١٣٢٣٢	موضوع خاص عن صدر الاسلام (عصر الفتوح أو المروانيون)	٣

١٣٣٢٣	موضوع خاص عن الدولة العباسية (القرن الاول او القرن الثالث) .	٣
١٣٣٢٤	موضوع خاص عن الاندلس (عصر الامارة او عصر الخلافة او المورسكيون) .	٣
١٣٣٢٥	الدولة الفاطمية	٣
١٣٣٢٦	الفرق الاسلامية	٣
١٣٣٤٢	قطر عربي في العهد العثماني	٣
١٣٣٤٥	المغرب العربي ١٥٠٠ ـ الاستقلال	٣
١٣٣٤٧	تاريخ ايران منذ القرن ١٥م (الدولة الصفوية وما بعدها)	٣
١٣٣٥١	عصر النهضة والكشوف الجغرافية	٣
١٣٤٢٠	موضوع خاص في الفكر الاسلامي	٣
١٣٤٢٤	حضارة الاندلس في عصر الخلافة	٣
١٣٤٢٥	موضوع خاص عن المجتمع العربي (المدينة الاسلامية او الحركات الاجتماعية) .	٣
١٣٤٤٥	موضوع خاص عـن تاريخ العرب المعاصر	٣
١٣٤٤٦	الاتجاهات الفكرية في العالم العربي في القرن التاسع عشر الميلادي .	٣
١٣٤٥٣	اليهود في العصور الحديثة	٣
٣١٤٥٥	موضوع خاص في التاريخ المعاصر (الولايات المتحدة والشرق الاوسط او الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط).	٣
١٣٤٩٢	فلسفة التاريخ	٣

رابعا : المواد الحرة :

يختار الطالب مادتين كيف يشاء من مواد الجامعة .

ملاحظات :

١ ـ المواد الاجبارية للتخصص المنفرد تصبح مواد اختيارية للتخصص الرئيسي والفرعي .

٢ ـ عند تدريس مادة في موضوع خاص يعلن في حينه عنوان المادة بدقة .

خطة الدراسة في برنامج ماجستير التاريخ

يدرس الطالب ٢٤ ساعة معتمدة (ثمانية مواد) ، حسب توجيه المرشد ، على ان لا يتجاوز ما يأخذه الطالب من اية مجموعة مادتين (٦ ساعات معتمدة):

١ ـ علم التاريخ

٥٧٠ ـ ٥٧٩ علوم تاريخية عامة

١٣٥٧١ موضوع خاص في علم التاريخ
١٣٥٧٢ موضوع خاص في علم التاريخ

٢ ـ تاريخ القديم

٥١٠ ـ ٥١٩ تاريخ قديم
١٣٥١١ موضوع خاص في التاريخ القديم
١٣٥١٢ موضوع خاص في التاريخ القديم

٣ ـ التاريخ الوسيط

٥٣٠ ـ ٥٣٩ اوروبي وسيط وبيزنطي وساساني
١٣٥٣١ موضوع خاص في التاريخ الاوروبي الوسيط
١٣٥٣٢ موضوع خاص في التاريخ الاوروبي الوسيط
١٣٥٣٣ موضوع خاص في التاريخ البيزنطي
١٣٥٣٤ موضوع خاص في التاريخ البيزنطي
١٣٥٣٥ موضوع خاص في التاريخ الساساني
١٣٥٣٦ موضوع خاص في التاريخ الساساني

٤ ـ التاريخ الاسلامي

٥٢٠ ـ ٥٢٤ تاريخ اسلامي
١٣٥٢١ موضوع خاص في التاريخ الاسلامي
١٣٥٢٢ موضوع خاص في التاريخ الاسلامي

٥ ـ التاريخ الاقتصادي او الاجتماعي او الدبلوماسي او الفكري اوالاداري

٥٢٥ ـ ٥٢٩ التاريخ الاقتصادي او الاجتماعي او الدبلوماسي او الفكري او الاداري
١٣٥٢٥ موضوع خاص في التاريخ الثقافي والاقتصادي والاجتماعي
١٣٥٢٦ موضوع خاص في التاريخ الثقافي والاقتصادي والاجتماعي

٦ ـ تاريخ العرب الحديث

٥٤٠ ـ ٥٤٩ عرب حديث ومعاصر
١٣٥٤١ موضوع خاص في تاريخ العرب الحديث او المعاصر
١٣٥٤٢ موضوع خاص في تاريخ العرب الحديث او المعاصر
١٣٥٤٥ قطر عربي حديث او معاصر دراسة خاصة
١٣٥٤٦ قطر عربي حديث او معاصر دراسة خاصة

٧ ـ التاريخ الاوروبي الحديث باللغة الانجليزية

٥٥١ ــ ٥٥٩ اوربي حديث

١٣٥٥١	موضوع خاص في التاريخ الاوروبي الحديث
١٣٥٥٢	موضوع خاص في التاريخ الاوروبي الحديث
١٣٥٥٥	قطر أوروبي
١٣٥٥٦	قطر اوروبي

٨ ـ لغــــة

٥٨٠ ــ ٥٨٩ لغات ونقوش

١٣٥٨٢	كتابات عربية قديمة
١٣٥٨٣	لغة او نقوش سامية قديمة
١٣٥٨٤	لغة او نقوش سامية قديمة
١٣٥٨٥	لغة ونقوش كلاسيكية قديمة
١٣٥٨٦	لغة ونقوش كلاسيكية قديمة

ب ــ يقدم الطالب رسالة (١٣٥٩١ ــ ١٣٥٩٤) .

وصف مواد قسم التاريخ

اسم المادة ورقمها | **وصف المادة**

تاريخ حضارة عربية اسلامية ١٣١٠٠

تعريف الحضارة والثقافة والمدنية ، وابراز معنى الحضارة الاسلامية ، ثم التعريف بمظاهر حضارة العرب والمسلمين في الميــادين السياســية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والمقارنة بين النواحي النظـــرية والتطبيقية طيلة التاريخ الاسلامي والوقوف على عوامل التقدم والتقهقر بدراسة تحليلية .

مدخل لتاريخ الحضارة ١٣١٠١

الفصل الاول : تتناول الحضارة ، تعريفها ، نشـــأتها وتطـــورها ، نظريات الحضارة .

الفصل الثاني : التفاعل الحضاري والتغيرات الحضارية .

الفصل الثالث : مظاهر الحضارات بشكل عام والنواحي السياســـية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

تاريخ الشرق القديم ١٣٢١١

١ ـ اهمية تاريخ الشرق القديم
٢ ـ تاريخ اقطار الشرق القديم
أ ـ ما بين النهرين من الاكاديون ـ الكلدانيوين
ب ـ مصر
ج ـ اليمن
د ـ التاريخ القديم لبلاد الشام
٣ ـ اثر حضارات الشرق القديم في التاريخ الانساني

تاريخ اليونان والرومان ١٣٢١٢

الساحل ـ اهمية التراث اليوناني في الحضارة العربية والاوروبية الحديثة . كريت والحضارة الايجية ، مكيني وطروادة اصل اليونانيين ، الاستعمار اليوناني ، دولة اسبارطة . اثينه ونشأة النظام الديمقراطي ، الحروب اليونانية والفارسية . تاريخ الرومان حتى عام ٢٣ق.م العصور الاولى لروما ، اصل الرومانيين ، روما والصراع مع قرطاجة ، روما والاستيطان في الشرق .

تاريخ العرب قبل الاسلام ١٣٢٢١

دراسة انثرويولوجية للعرب وبيان انتمائهم لموطنهم الاصلي ، ثم فعاليات العرب الحضارية في المجتمعات المتحضرة والبدوية في الجزيرة العربية. دراسة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال معرفة منطقة الحجاز فكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وابراز دور الاسلام في عملية التحول العربية والعالمية .

تاريخ صدر الاسلام ١٣٢٢٢

تأسيس الخلافة ودراسة التطورات التي حدثت في العصر الراشدي ، ثم تحليل الحرب الاهلية الاولى وانتقال الخلافة الى الامويين . رصد اهم التيارات التي نشأت وتطورت في العصر الاموي وخاصة توسع الدولة الاسلامية . الادارة في العصر الاموي ، وحركات المعارضة ثم نهاية الدولة الاموية وانتقال الخلافة الى البيت العباسي .

تاريخ الخلافة العباسية ١٣٢٢٣

دراسة التطورات السياسية في اواخر الدولة الاموية ، ثم دراسة الدعوة العباسية السرية وتأسيس الخلافة العباسية . وبعد ذلك نتحدث عن اهم التيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي . ودراسة العلاقة بين العباسيين والقوى الاخرى المعاصرة .

تاريخ الشرق الاسلامي ٤ـ٥ هـ ١٣٢٢٤

لمحة عامة عن اهم التطورات زمن الخليفة المعتصم واثر دخول الاتراك الى بلاد الخلافة الاسلامية ثم دراسة اهم الحركات الفكرية والاجتماعية التي حدثت في تلك الفترة مثل ثورة الزنج ثم دراسة تاريخ اهم الامارات التي برزت في شرق الخلافة مثل الطاهريين والسامانيين .

تاريخ المغرب والاندلس ١٣٢٢٥

يعالج المنهاج الفترة التي دخل فيها المسلمون بلادب المغرب والتي اشتملت على مرحلتين الغارات او الاستكشاف ومرحلة الاستقرار او الفتح الدائم يتناول المنهاج في قسمه الثاني حالة اسبانيا قبل الفتح الاسلامي ، نظرة في جغرافية شبه الجزيرة الاندلسية ، فتح الاندلس عهد الولاة ، عهد الخلافة ، عهد الطوائف ، عهد المرابطين ، عهد الموحدين ، مملكة غرناطة ، مع التركيز على المظهر الحضاري والاسلامي في الاندلس .

تاريخ العالم الاسلامي ٥ ـ ٧ هـ ١٣٢٢٦

تبحث هذه المادة في تاريخ العالم الاسلامي من بداية الدولة السلجوقية والهجرات التركية ـ التركمانية الى العالم الاسلامي ، والدول التيتفرعت عنها خاصة سلطنة سلاجقة الروم . كما وتبحث في ابرز التطورات في المغرب والاندلس زمن المرابطين والموحدين ، وغزو الفرنجة لقلب العالم الاسلامي . ويركز فيها على تطورات المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية .

تاريخ العالم الاسلامي ٧ـ١١هـ ١٣٢٢٧

تتناول مصادر تاريخ هذه الفترة ، ثم استمرار ابرز التطورات التاريخية للدول الاسلامية الكبرى خلال هذه الفترة وعلاقاتها مع بعضها البعض ، ثم انجازات كل دولة في النواحي الحضارية المختلفة .

التاريخ الساساني والبزنطي ١٣٢٣٠

تبحث هذه المادة في ابرز التطورات في هاتين الدولتين في الفترة السابقة للاسلام وعلاقاتها مع بعضهما البعض علاقة الامبراطورية البيزنطية مع الخلافة الاسلامية اولا ثم مع سلاجقة الروم والدولة العثمانية من بعدهم وحتى استيلاء العثمانيين على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م .

تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ١٣٢٣١

تتناول المادة دراسة للامبراطورية الرومانية ثم الغزوات البربرية التي تعرضت لها وما ترتب عليها من قيام الدويلات الجرمانية ، وتركز المادة على انتشار الديانة المسيحية في اوروبا وظهور الكنيسة وقيام

الاقطاع ونشوب النزاع بين البابوية والسلطات الحاكمة وهي في النهايـة تتطرق المادة الى مجيء النورمان ودورهم في مجريات الاحداث التاريخية.

تاريخ العرب الحديث ١٣٢٤١

١ ـ الفتح العثماني لاقطار الوطن العربي ، لمحة عامة تشمل المشـــرق والمغرب العربي من اوائل القرن السادس عشر وحتى حملة نابليون اواخر القرن ١٨ .

٢ ـ التركيز على دراسة القرن التاسع عشر ، وسماته الرئيسية علـــى المستوى العالمي والعثماني والعربي ، وتمثل دراسة مقارنة لسيطرةالدول الاوربية على المغرب ، بشكل عام ، ثم التركيز على المشرق العربي حتـى بداية الحرب العالمية الاولى .

تاريخ العرب المعاصر ١٣٢٤٢

١ ـ لمحة موجزة تشمل الوطن العربي منذ اوائل القرن العشرين وحتـى الحرب العالمية الثانية وتشمل الابعاد السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية ، دراسة مقارنة لاوضاع الوطن العربي قبل الحرب العالميـة الاولى وما بين الحربين « الانتداب » .

٢ ـ الحرب العالمية الثانية واثرها في المشرق العربي ومصر ، وقطـر من المغرب العربي (مع متابعة احداث الساعة في الوطن العربي) .

تاريخ العالم الحديث ١٣٢٥١

تتناول اهم معالم الحضارة الغربية منذ عصر النهضة حتى اندلاعالحرب العالمية الاولى .

وتتناول دراسة حركة الاصلاح الديني والثورتين الامريكية والفرنسيـة وقيام الثـــورة الصناعية في اوروبا ثم دراسة الحـــركات القوميـة الاوروبية .

تاريخ العالم المعاصر ١٣٢٥٢

١ ـ المرحلة العالمية منذ اوائل القرن العشرين وحتى بداية الحرب العالمية الثانية « دراسة مقارنة »

٢ ـ الحرب العالمية الثانية وظهور المعسكرين الشرقي ، والغربي ، وكتلـ عدم الانحياز

٣ ـ « الازمات الدولية ، ازمة الطاقة » ظهور التيارات الفكرية الحـ « التوازن الدولي » « الحلف الدولي » « مع متابعة احداث الساـ المستوى العالمي » .

منهج بحث ١٣٢٥٣

تعالج هذه المادة موضوعين اساسين هما : دراسة نظرية لمنهج البحث التاريخ مع التركيز على خطوات القيام بالبحث التاريخي مع التدريب على كل خطوة وتطبيق المعرفة النظرية عن طريق كتابة بحث موجز في موضوع تاريخي مناسب والتعرف على الاتجاهات العامة للتدوين التاريخي عند العرب مع التركيز على دراسة الروايات في المصادر الاولية خاصة سلاسل السند ليتمكن الطالب من فهم النصوص التاريخية بصورة مناسبة .

موضوع خاص عن صدر الاسلام ١٣٢٢

يتناول فترة محددة او دراسة تاريخ قطر معين في هذه الفترة او التركيز على موضوع معين خلال هذه الحقبة من التاريخ الاسلامي .

موضوع خاص عن الدولة العباسية ١٣٣٢٣

تتناول فترة محددة او موضوعا معينا او تاريخ قطر اسلامي معين في الفترة العباسية .

موضوع خاص عن الاندلس ١٣٣٢٤

تتناول هذه المادة تاريخ الاندلس في ثلاث مراحل : المرحلة الاولى عصر الامارة ، والمرحلة الثانية عصر الخلافة ، والمرحلة الثالثة : الموريسكيون. وتعالج في المرحلتين الاولى والثانية جميع الجوانب السياسية والثقافية والعمرانية ، اما في المرحلة الثالثة فيعالج موضوع التنصير القسري للموريسكين وتهجيرهم خارج شبه جزيرة ايبريا .

الدولة الفاطمية ١٣٣٢٥

تبحث هذه المادة في مصادر دراسة التاريخ الفاطمي ، وتطور الحركة الشيعية حتى قيام الدولة الفاطمية وامتداد نفوذها غربا الى المغرب وشرقا الى مصر وبلاد الشام الجنوبية والحجاز ، وابرز التطورات في تاريخ هذه الدولة مثل الحركة الدرزية ، تنظيم الدعوة الاسماعيلية ـ الفاطمية وحركة الاسماعيلية النزارية ، والشدة العظمى وبداية ضعف الدولة حتى نهايتها .

الفرق الاسلامية ١٣٣٢٦

تبحث هذه المادة في الجذور التاريخية لنشأة الفرق الاسلامية السياسية والفكرية ثم تطوراتها التاريخية خلال القرون الثلاثة الاولى من الهجرة .

الدولة العثمانية ١٣٣٤١

تأسيس الدولة العثمانية ودراسة المؤسسات الهامة مثل السلطنة والصدارة العظمى ومشيخة الاسلام والانكشارية والقضاء . كما يتناول المساوىء ، نظام الضرائب ومؤسسة الدفتردارية . ثم دراسة العلاقات العثمانية الصفوية والعثمانية الاوروبية حتى معاهدة كوجك فينارجة .

قطر عربي في العهد العثماني ١٣٣٤٢

تتناول تاريخ قطر عربي في العهد العثماني سوريا ، أو فلسطين أو لبنان او العراق او مصر او الجزيرة العربية .

المغرب العربي بين ١٥٠٠ - حتى الاستقلال ١٣٣٤٥

لمحة عامة عن الممالك المستقلة في المغرب العربي قبل الفتح العثماني . الحكم العثماني في بلاد المغرب ، الدولة السعودية في المغرب الاقصى . الطرق الصوفية في المغرب واثرها في نشر الاسلام ، الدولة العلوية في المغرب الاقصى عام ١٨٣٠ .

تاريخ ايران منذ القرن ١٥ م ١٣٣٤٧

وتتناول المادة قيام الدولة الصوفية وتاريخها مع التركيز على العلاقات الصوفية العثمانية واثر ذلك على البلاد العربية وخاصة العراق .

عصر النهضة والكشوف الجغرافية ١٣٣٥١

تتناول المادة العوامل التي ادت الى قيام حركة الكشوف الجغرافية وابراز دور كل من البرتغال واسباڤيا في مجالات الكشف وما ترتب عليها من نتائج كما تتناول المادة التنافس الاستعماري بين الدول الاوروبية على المناطق المكتشفة في العالم الجديد وافريقية .

موضوع خاص في الفكر الاسلامي ١٣٤٢٠

لمحة عامة عن نشأة الفكر الاسلامي وتطوره ، تعريفه ، صلاته بغيره ، المراحل التي مر بها ثم يتناول الموضوع احد جوانب الفكر الاسلامي السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية مع التركيز على فترة معينة او موضوع معين .

المماليك ١٣٤٢٢

تتناول هذه المادة دراسة مصادر تاريخ المماليك ثم قيام الدولة المملوكـ وابرز التطورات السياسية الهامة خلال الفترة المملوكية ، كما تـ الدراسة اهم المؤسسات الادارية المختلفة ضمن الاطار التاريخي ا للدولة الاسلامية .

غزو الفرنجه ١٣٤٢٣

تبحث هذه المادة في مصادر دراسة تاريخ غزو الفرنجة ، واوضاع العالم الاسلامي واوروبا والدولة البيزنطية قبل قيام الحملة الاولى ، وتأسيس الامارات الفرنجية ، وتوحيد العالم الاسلامي (خاصـــة مصر والشام والجزيرة الفراتية) زمن زنكي وابنه نور الديـن محمود وصلاح الديـن لمواجهة هذا التحدي . ويركز في هذه المادة على الاوضاع الداخليـــة لكل مـن الامارات الاسلامية والامارات الفرنجية والمؤسسات فيها .

حضارة الاندلس في عصر الخلافة ١٣٤٢٤

تتناول هذه المادة اوجه الحضارة في عهد الخلافة الاموية في الاندلس ٣١٦ — ٤٠٠ هـ ، ٩٢٩ — في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية والسياسية وابراز عصر الخلافة من حيث اثراء الحضارة الانسانية .

موضوع خاص عن المجتمع العربي ١٣٤٢٥

تبحث هذه المادة في اسس بناء وتنظيم المدن الاسلامية وتطورها ، وعلى الاخص في صدر الاسلام ومدى مشاركة هذه المدن في البنية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في المجتمع العربي .

النظم الاسلامية ١٣٤٢٧

وتتناول دراسة النظم الاسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وتبيان مساهمة المسلمين في شتى أنماط النظم وأثر ذلك في تاريخ المسلمين .

موضوع خاص في التاريخ العربي المعاصر ١٣٤٤٥

تتناول المادة في احد الفصول تحليل العلاقات التي تربط بين الولايات المتحدة والشرق الاوسط ، وينتقل المقرر في فصل آخر ليناقش دراسة العلاقة ما بين الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط ، والعلاقات في مجملها لن تكون مقصورة على الناحية السياسية فقط وايما ستركز على النواحي الاقتصادية والثقافية .

الاتجاهات الفكرية عند العرب ١٣٤٤٦

مدخل الى الحياة الفكرية عند العرب بين القرن العاشر والقرن التاسع عشر . عوامل النهضة الفكرية عند العرب في القرن التاسع عشر ثم دراسة الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية عند العرب في الفترة المذكورة .

تاريخ الاردن الحديث ١٣٤٤٨

لمحة عــن تاريخ بلاد الشام « والاردن جزء منها » خلال الحرب العالمية الاولى ، مع التركيز على الثورة العربية الكبرى وتسويات ما بعد الحرب وتأثيرها على المنطقة « معاهدة سايكس ــ بيكو ــ وعد بلفور ، مؤتمــر لوزان » الحكومة العربية الفيصلية في دمشق . امارة شرق الاردن سنة ١٩٢١ ــ ١٩٤٦ مجيء الامير عبدالله وتأسيس الامارة ، ودراسة الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، المملكة الاردنية الهاشمية ١٩٤٦ حتى وقتنا الحاضر ، وتطور الابعاد السالفة الذكر مع التركيز على مؤتمرات القمة ، والقضية الفلسطينية .

اليهود في العصور الحديثة ١٣٤٥٣

تناقش المادة أهم خصائص التجمعات اليهودية في اوروبـــا الشــرقية واوربا الغربية ابتداء من القرن السادس عشر حتى نهاية الثامن عشر وينتقل المقرر بعد ذلك لدراسة الظروف التي افرزت الفكر الصهيوني منذ مطلع القرن التاسع عشر الى ان قامت المنظمة الصهيونية العالمية في نهاية القرن نفسه .

موضوع خاص في التاريخ المعاصر ١٣٤٥٥

تتناول المادة في احد الفصول تحليل العلاقات التي تربط بين الولايـات المتحدة والشرق الاوسط ، وينتقل المقرر في فصل اخر ليناقش دراسة العلاقة ما بين الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط ، والعلاقــــات في مجملها لــن تكون مقصورة على الناحية السياسية فقط وانما ستركز على النواحي الاقتصادية والثقافية .

رسالة التخرج ١٣٤٩١١

يقوم الطالب المتوقع في تخرجه في فصل ما بكتابة بحث تاريخي وفق المنهج التاريخي باشراف رئيسه .

فلسفة التاريخ ١٣٤٩٢

مادة في : نشأة النظرة التاريخية ، والمفهوم التقليدي للتاريخ في الغـرب (ق ١٧) واوائل ق ١٨ وعلم التاريخ في عصر التنوير (التاريخ العلمي) ، والنظرة المثالية واعلامها خاصة المادية واعلامها (وابرزهم ماركس) واخيرا نظرة في تطور الفكر التاريخي عند العرب .

موضوع خاص في التاريخ الاسلامي ١٣٥٢١١

دراسة تطور المجتمع العربي الاسلامي زمن الراشدين ــ خروج العــرب بالفتوح . تنظيم العرب في دور الهجرة والامصار : الكوفة ، البصرة ،

الفسطاط ، الاجناد في الشام . التطورات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات العربية الاسلامية في الامصار ، وصلة ذلك بالخلافة . الظروف والاوضاع التي ادت الى الفتنة الاولى وانتقال السلطة الى دمشق بدايات ظهور الاحزاب المعادية في المصادر الاولية .

موضوع خاص في التاريخ الاسلامي ٢ ١٣٥٢٢

وضع المجتمع العربي الاسلامي بنهاية القرن الاول الهجري . التيارات والاتجاهات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية . دور الاحزاب والحركات السياسية . بدايات الدعوة العباسية وتطورها خلال ثلث قرن . الثورة العباسية ونهاية الدولة الاموية . دراسة معمقة في المصادر الاولية .

موضوع خاص في التاريخ الاقتصادي او الاجتماعي او الفكري ١ ١٣٥٢٥١

التاريخ الاقتصادي لجزيرة العرب قبل الاسلام – مناخ الجزيرة وطبيعتها الجغرافية واثر ذلك في حياة سكانها . مواطن السكن في الجزيرة ، البداوة ومراحلها ، تكاثر البدو وعلاقتهم بالاراضي الزراعية ، الهجرات التاريخية وتفسيرها ، موقع الجزيرة على طرق التجارةالدولية وأثره في ظهور كيانات (دول) تجارية ودور عرب الجنوب في التجارة الدولية . المحطات والمراكز التجارية على طرق التجارة – البتراء ، تدمر ، مكة ودور قريش في التجارة ، المجتمع المكي ، انتشار العرب في الاسلام وصلته باوضاع الجزيرة .

موضوع خاص في التاريخ الاقتصادي او الاجتماعي او الفكري ٢ ١٣٥٢٦٢

دراسة التنظيمات المالية في صدر الاسلام – التنظيم المالي في عصرالرسالة. التنظيم المالي زمن الراشدين : الضرائب – الجزية والخراج في السواد والشام والجزيرة ومصر وخراسان . تطور نظام الضرائب في العصر الاموي .

حلقة بحث ٢١٥٣٠

دراسة لنشأة علم التاريخ عند العرب . الجذور التاريخية . نشأة مدرسة المغازي وتطورها في المدينة حتى القرن الثالث للهجرة . نشأة مدرسة الاخباريين وتطورها في الكوفة والبصرة حتى القرن الثالث للهجرة . دراسة ظهور المؤرخين الكبار في القرن الثالث للهجرة وبخاصة اليعقوبي، ابن قتيبة ، البلاذري ، الطبري ، وبايجاز دراسة فترة التكوين في علم التاريخ عند العرب .

موضوع خاص في التاريخ الحديث ١ ١٣٥٤١١

وهو عبارة عن دراسة للاحوال السياسية والاقتصادية في الجزيرة العربية خلال العهد العثماني .

موضوع خاص في التاريخ الحديث ٢ ١٣٥٤٢

ويتناول دراسة موضوع معين او قطر عربي معين خلال العصور الحديثة.

الخطة الدراسية للحصول على درجة البكالوريوس في كلية الاداب / دائرة التاريخ / الجامعة الاردنية

متطلبات الخطـة

تمنح درجة البكالوريوس في الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعيـــة في التاريخ بعد اتمام المتطلبات التالية :

١ ـ الشروط المنصوص عليها في تعليمات منح درجة البكالوريوس في جامعة اليرموك رقم (١٠) لسنة ١٩٨٢ المعدلة الصادرة بموجب نظام منح الدرجات العلمية والشهادات في جامعة اليرموك رقم (٧٦) لسنة ١٩٧٦ والمعدلة في تعليمات رقم (٣) لسنة ١٩٨٤ م .

٢ ـ متطلبات الجامعة المبينة في تعليمات منح درجة البكالوريوس المذكورة في (١) اعلاه وعددها (٢٧) ساعة .

٣ـ متطلبات الكلية المبينة في الخطة الدراسية لدرجة البكالوريوس في كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ومقدارها (١٧) ساعة .

٤ ـ متطلبات الدائرة ، وتخصص لها (٨١) ساعة معتمدة موزعة كما يلي :

أولا : التخصص المنفرد (٨١) ساعة معتمدة موزعة كما يلي :

أ ـ متطلبات اجبارية : (٦٥) ساعة معتمدة هي :

تخ ١٠١	تخ ١٠٢	تخ ١٥٠	تخ ١٥٢
تخ ١٥٦	تخ ٢١٦	تخ ٢٣١	تخ ٢٣٢
تخ ٢٥٥	تخ ٢٥٦	تخ ٢٥٧	تخ ٢٥٩
تخ ٣٢١	تخ ٣٥١	تخ ٣٥٢	تخ ٣٥٥
تخ ٣٧٣	تخ ٣٧٤	تخ ٣٧٦	تخ ٣٨٥
تخ ٤٤٢	تخ ٤٧٢	تخ ٤٨٤	تخ ٤٨٥

ب ـ مساقات اختيارية : (١٦) ساعة معتمدة هي :

١ ـ (٦) ساعات معتمدة يختارها الطالب من احدى اللغات التالية :

الفرنسية ، الالمانية ، التركية ، الروسية ، الاسبانية ، العبرية .

٢ ــ (٨) ساعات معتمدة يختارها الطالب من المساقات التالية :

تخ ١٠٣	تخ ١٠٤	تخ ١١٩	تخ ٢٢٧
تخ ٢٥١	تخ ٢٥٨	تخ ٢٣٧	تخ ٣١٠
تخ ٣١٣	تخ ٣١٥	تخ ٣٢٢	تخ ٣٥٧
تخ ٣٩١	تخ ٤٥٠	تخ ٤٥٨	تخ ٤٧٣
تخ ٤٧٤	تخ ٤٩٣	تخ ٤٩٩	تخ ٢٥١

٣ ــ (٣) ساعات معتمدة من مستوى ٣٠٠ فما فوق يختارها الطالب من اية دائرة في الكلية غير دائرة التاريخ .

جدول رقم (١)

توزيع الساعات المعتمدة للتخصص المنفرد في التاريخ

المتطلبات	الساعات الاجبارية	الساعات الاختيارية	المجموع
متطلبات الجامعة	٢١	٦	٢٧
متطلبات الكلية	١١	٦	١٧
متطلبات التخصص المنفرد	٦٥	١٦	٨١
المجموع	**٩٧**	**٢٨**	**١٢٥**

ثانيا : التخصص الرئيسي / الفرعي : (٨١) ساعة معتمدة موزعة كما يلي :

أ ــ التخصص الرئيسي : (٦٠) ساعة معتمدة موزعة كما يلي :

١ ــ مساقات اجبارية : (٤٧) ساعة معتمدة هي :

تخ ١٠١	تخ ١٠٢	تخ ١٥٠	تخ ١٥٢
تخ ١٥٦	تخ ٢١٦	تخ ٢٣١	تخ ٢٥٥
تخ ٢٥٩	تخ ٣٢١	تخ ٣٥١	تخ ٣٥٢
تخ ٣٥٥	تخ ٣٧٣	تخ ٣٧٤	تخ ٣٧٦
تخ ٣٨٥	تخ ٤٤٢		

٢ ــ مساقات اختيارية (١٣) ساعة معتمدة

أ ــ (٦) ساعات معتمدة يختارها الطالب من احدى اللغات التالية :

الفرنسية ، الالمانية ، الاسبانية ، التركية ، الروسية ، العبرية .

ب ــ (٧) ساعات معتمدة يختارها الطالب من المساقات المبينة في البند (ب / ٢) من المساقات الاختيارية ضمن متطلبات التخصص المنفرد.

ب ــ التخصص الفرعي : (٢١) ساعة معتمدة وفق ما تحدده دائرة التخصص الفرعي ودوائر التخصص الفرعي هي جميع دوائر كليتي الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، والاقتصاد .

جـــدول رقـم (٢)

توزيع الساعات المعتمدة للتخصص الرئيسي في التاريخ / الفرعي في تخصص آخر

المتطلبـــات	الساعات الاجبارية	الساعاتالاختيارية	المجموع
متطلبات الجامعـــة	٢١	٦	٢٧
متطلبـــات الكلية	١١	٦	١٧
متطلبـــات التخصص	٤٧	١٣	٦٠
متطلبات التخصص الفـــرعي			٢١ *
	—	—	—
			١٢٥

ثالثـا : التخصص الفرعي في التاريخ ويخصص له (٢١) ساعة معتمدة موزعة على الشكل التالي :

أ ــ مساقات اجبارية : (١٤) ساعة معتمدة هي :

تخ ١٥٠   تخ ٢٣١   تخ ٣٢١

تخ ٣٥٥   تخ ٤٧٢

ب ــ مساقات اختيارية : (٧) ساعات معتمدة يختارها الطـــالب من المساقات المبينة في البند (ب/٢) من المساقات الاختيارية ضمن متطلبات التخصص المنفرد وفقا لمتطلبات دائرة التخصص الفرعي للطالب .

* وفقا لمتطلبات دائرة التخصص الفرعي للطالب

جـــدول رقـــم (٣)

مدلول رقم العشرات في دائـرة التـــاريخ

صفر مقدمة ومدخل الى التاريخ

١ مواد مرتبطة بالتاريخ

٢ مغرب واندلس

٣ عبـــاسي

٤ ايوبي ومملوكي

٥ تاريخ قديم / وسيط

٧ تاريخ حديث

٨ تاريخ معاصر

٩ موضوع خاص / ندوة / بحث

جـدول رقم (٤)

المسـاقات التي تطرحها دائرة التاريخ

رقم المساق	المســاق	الساعات المعتمدة	المتطلب السابق
تخ ١٠١	مدخل لدراسة التاريخ	٢	
تخ ١٠٢	مقدمة في تاريخ الاردن وفلسطين في العصور القديمة	٣	
تخ ١٠٣	مقدمة في العلوم السياسية	٣	
تخ ١٠٤	مقدمة في الاثار	٣	
تخ ١١٩	فلسفة التاريخ	٢	
تخ ١٥٠	تاريخ العرب قبل الاسلام	٢	
تخ ١٥١	تاريخ الحضارة العربية الاسلامية	٣	
تخ ١٥٢	تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية	٣	
تخ ١٥٦	تاريخ الشرق الادنى القديم	٣	
تخ ٢١٦	مناهج البحث في التاريخ	٢	
تخ ٢٢٧	الحضارة العربية الاسـلامية في الاندلس	٣	
تخ ٢٣١	التاريخ العباسي (القرن ١ ـ ٤هـ)	٣	تخ ١٥٢
تخ ٢٣٢	التاريخ العباسي (القرن ٤ ـ ٧هـ)	٣	تخ ٢٣١
تخ ٢٥١	تاريخ العلوم عند العرب	٣	
تخ ٢٥٥	تاريخ الاردن وفلسطين في العصر الاسلامي	٣	تخ ١٠٢
تخ ٢٥٦	الشرق الادنى في العصر الهليني	٣	تخ ١٥٦
تخ ٢٥٧	تاريخ البيزنطيين والساسانيين	٣	
تخ ٢٥٨	تاريخ الشرق الاقصى القديم	٢	
تخ ٢٥٩	حضارة اليونان والرومان	٣	
تخ ٢٧٣	الثورة العربية بقيادة الشريف حسين	٣	
تخ ٣١٠	البحر الاحمر واهميته التاريخية	٣	
تخ ٣١٣	وثائق ونصوص تاريخية بلغة حية	٢	
تخ ٣١٥	جغرافيا الوطن العربي	٣	

رقم المساق	المساق	الساعات المعتمدة	المتطلب السابق
تخ ٣٢١	تاريخ المغرب والاندلس (القرن ٢ ــ ٥ هـ)	٣	
تخ ٣٢٢	تاريخ المغرب والاندلس من (القرن ٦ ــ ٨ هـ)	٣	
تخ ٣٥١	الدولة الفاطمية	٢	
تخ ٣٥٢	تاريخ اوروبا في العصور الوسطى	٣	
تخ ٣٥٥	الحروب الصليبية	٣	
تخ ٣٥٧	المغول والشرق الاسلامي	٣	
تخ ٣٧٣	تاريخ العرب الحديث	٣	
تخ ٣٧٤	تاريخ العالم الحديث	٣	
تخ ٣٧٦	تاريخ الاردن في العصر الحديث	٢	
تخ ٣٨٥	القضية الفلسطينية	٢	
تخ ٣٩١	ندوة في التاريخ	١ــ٣	موافقة مجلس الدائرة
تخ ٤٤٢	الايوبيون والمماليك	٣	تخ ٣٥٥
تخ ٤٥٠	التاريخ الاقتصادي في العصور الاسلامية	٣	
تخ ٤٥٨	التعليم في العصور الوسطى	٣	
تخ ٤٧٢	تاريخ الدولة العثمانية	٣	
تخ ٤٧٣	في التاريخ الامريكي	٢	
تخ ٤٧٤	في التاريخ الروسي	٢	
تخ ٤٨٤	تاريخ العرب المعاصر	٣	تخ ٣٧٣
تخ ٤٨٥	تاريخ العالم المعاصر	٣	تخ ٣٧٤
تخ ٤٩٣	موضوع خاص في التاريخ	٣	موافقة مدرس المساق ومدير الدائرة
تخ ٤٩٩	بحث في التاريخ	١ــ٣	موافقة مدرس المساق ومدير الدائرة

سعر النسخة (دينار ونصف)

رقم الايداع ٤٣٦ لسنة ١٩٨١

مطبعة العمال المركزية ـ بغداد / ١٩٨٨

سعر النسخة [illegible]

توزيع الدار الوطنية للتوزيع

مطبعة العمال المركزية - بغداد